

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

البابا برنوده الثالث

تأملات في

الميلاد



البابا شنودة الثالث

تأملات في الميلاد

**Contemplation on
The Nativity of Our Lord**
by
H.H. POPE SHENOUDA III

2nd Reprint

الطبعة الثانية

القاهرة في ديسمبر ١٩٨٠

كيهك ١٦٩٧



قداسة البابا شنودة الثالث

H.H. Pope Shenouda III

فهرست

٦	تصدير
٧	الفصل الأول : أخلق ذاته
٤١	الفصل الثاني : ملء الزمان
٤٩	الفصل الثالث : عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا
٥٩	الفصل الرابع : مصالحة السماء والأرض
٧٩	الفصل الخامس : دروس من حياة العذراء



باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تصدير

المحاضرات التي بين يديك ، أُلقيت في القاعة المرقسية بدير الأنبا
رويس خلال سنتي ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، وقد سبق نشرها . وها نحن نعيد
نشرها مرة أخرى .

وسيصدر بعدها إن شاء الله موضوع آخر هو :

أسئلة عن الميلاد

يشمل أهم الأسئلة التي يلقيها الناس حول الميلاد ، وأسباب التجسد
الإلهي ، وسلسلة الأنساب ، وحقيقة النجم الذي ظهر للمجوس ، وقرابة
العذراء لأليصابات... إلخ . ولماذا قال الآباء القديسون في الإجابة عن
هذه الأسئلة وأمثالها .

إننا نريد أن نضع أمامك صورة ، نحاول أن تكون متكاملة ، عن
ميلاد الرب ، في روحانيته ، وفي علامات الاستفهام المحيطة به...

ونطلب من روح الرب أن يرافق كل نقطة ،
ولتجعلها منه ، لا منا ...

شهادة الثالث



أَخْلَى ذَاتَهُ

• فليكن فيكم هذا الفكر الذي في
المسيح يسوع أيضا ، الذي اذ كان
في صورة الله لم يحسب خلسة أن
يكون معادلا لله •

لكنه أخلى ذاته آخذا صورة عبد ،
صائرا في شبه الناس • واذ وجد
في الهيئة كاتسان وضع نفسه وأطاع
حتى الموت ، موت الصليب •

(فيلبي ٢ : ٥ - ٨)

مقدمة

ان السيد الرب ، اذ اخل ذاته واخذ شكل العبد ، لم يقتصر ذلك على حادثة الميلاد فحسب ، بل شمل ذلك حياته كلها التي لا تدخل تحت حصر .

ميلاد المسيح المتواضع كان مجرد مظهر من مظاهر اخلاء الذات وسنحاول أن نتتبع اخلاء الرب لذاته في كل ناحية ... ونحاول أن ندرك الأسباب التي من أجلها اخل ذاته ... ثم نأخذ لأنفسنا عظة عملية ، محاولين أن نطبق عنصر الاخلاء في حياتنا ...

وعلينا أن نفهم بالدقة : ما هو معنى اخلاء الذات ...

انه لم يخلها طبعاً من جوهره ولا من طبيعته ولا من لاهوته الذي لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . بل اخل ذاته من الأمجاد المحيطة به ومن عظمة السماء ، وسنشرح هذا وغيره بالتفصيل في الصفحات المقبلة ...

جميل بنا أن نلاحظ أن هذا الاخلاء لم يكن اقلالا من شأن الرب ، وانما هو عظمة جديدة في مفهومها . كان الناس يفهمون العظمة في مظاهر خارجية . أما عظمة من يخل ذاته ويأخذ شكل العبد ، فلم يكن أحد يتصورها . هذه قدمها الرب لنا ...

أُفْهَى ذَاتَهُ فِي مِيلَادِهِ

عجيب هو الرب في انصاعه ، عندما أخلى ذاته في ميلاده .

● نزل الى العالم هادئا بدون ضجة ، ودخله في خفاء لم يشعر به أحد لم يحدد من قبل موعد مجيئه .

وهكذا ولد في يوم مجهول ، لم تستعد له الأرض ولا السماء ، ولم يستقبله فيه أحد . يوم ميلاده كان نكرة بالنسبة الى العالم ، مع أنه من أعظم الأيام إذ بدأ فيه عمل الخلاص الذي تم على الصليب .

لو نزل الرب الى العالم في صفوف ملائكته ، على سحابة عظيمة ، أو في مركبة نورانية يحيط به الساروفيم والسارافيم وقد ارتجت له السموات وكل قوى الطبيعة أو لو أن السماء احتفلت بميلاده ، ليس بنجم بسيط يظهر للمجوس ، بل اهتزت له كل نجوم السماء وكواكبها لو حدث ذلك ، لقلنا انه أمر يليق بالرب ومجده

لو أن شخصا كان مسافرا الى مكان ما ، لأرسل الرسائل قبلها ، فيستقبله الأحياء والأصدقاء والأقارب والمعارف

والمريدون ، وربما يستاء اذ قصر أحد في انتظاره أو في استقباله ...

أما السيد المسيح فدخل الى العالم في صمت ، بعيدا عن كل مظاهر الترحيب ، في غير ضجيج ، وبطريقة بسيطة هادئة ... دخل العالم بنكران عجيب للذات ، أو في إخلاء عجيب للذات وكل الذين استقبلوه جماعة من الرعاة المساكين ، ثم المجوس ...

● هناك أشخاص يحبون الضجيج وبهجة الترحيب في دخولهم وفي خروجهم ، لأن فاعليه ميلاد المسيح لم تغيرهم بعد ...

لم يخل المسيح ذاته في هدوء مجيئه الى العالم فحسب ، بل في كل ظروف ميلاده . فكيف كان ذلك ؟

● ولد من أم فقيرة يتيمة ، لم تكن تجد من يعولها .
عهد بها الكهنة الى يوسف ، خطبوها له لتعيش في كنفه .
وولد في قرية هي « الصغرى بين رؤساء يهوذا »
(متى ٢ : ٦)

وسكن في الناصرة التي يعجب الناس ان امكن ان يخرج منها شيء صالح (يو ١ : ٤٦) . ودعى ناصريا

وعاش في بيت نجار بسيط ، حتى كانوا يعيرونه قائلين « اليس هذا هو ابن النجار » (متى ١٣ : ٥) .

وعاش ثلاثين سنة مجهولا ، كفترة تبلو ضائعة في التاريخ . حتى الرسل لم يعتنوا أن يكتبوا عنها شيئا تقريبا

... عاش فيها دون أن يلتفت اليه أحد ، مخفى لا يعرف
عنه أحد شيئاً ، كأي شخص عادي ... بينما تلك السنوات
الثلاثون هي فترة الشباب والقوة التي يهتم فيها كل انسان
بذاته ، ويود فيها كل شاب أن يظهر وأن يعمل عملاً ...

● أخلى الرب ذاته فعاش في التطورات الطبيعية كسائر
البشر .

قضى فترة كرضيع وكطفل . ولم يستع من ضعف الطفولة
... بما فيها من احتياج الى معونة آخرين ، وهو معين الكل !
احتاج الى رعاية أم ، وهو راعي الرعاية ! احتاج الى امرأة
من صنع يديه ، بحمله على يديها ، وتهتم به ، وهو المهتم
بكل أحد . وتغذيه ، وتعطيه لياكل ويشرب !

ومن العجيب في طموله ، أنه أخلى ذاته من استخدام
قوته . فهرب من اطم هيرودس ، بينما روح هيرودس في يده !
هرب من هيرودس وهو الذي خلق هيرودس ، وأبقاه حتى
ذلك اليوم . عجيب هذا الأمر ... عجيب أن نرى القوى
القادر على كل شيء ، يهرب مثل سائر الناس الذين يهربون
من الضيق ! يهرب من القتل وهو الذي يملك الحياة والموت
... وجاء الى مصر ، وعاش فيها سنوات . ولم يرجع الا بعد
أن هدأ الجو ، بينما كان يستطيع أن يفلت من الرجل بطريقة
معجزية أو يقضى عليه ...

أخلى ذاته ، فاحتل ضعف البشرية وهو المنزه عن كل

**ضعف • وسمح لنفسه أن بجوع ويعطش ويتعب وينام ،
كسائر البشر ...**

عجيب أن نقال عن الرب انه فى آخر لاربعة يوما « جاع
أخيرا » (متى ٤ : ٢) • وعجيب أن هذا الينوع الذى روى
الكل يقول لسامرية « اعطينى لأشرب » (يو ٤ : ٧) ،
ويقول على الصليب « أنا عطشان » (يو ١٩ : ٢٨) •
وعجيب أن نقال عنه انه تعب وجلس عند الشرب (يو ٤ : ٦)
وانه نام فى السفينة (لو ٨ : ٢٣) •

● أحلى الرب ذاته كل هذا الاخلاء ، ليخزي الذين
يفتخرون ويتكبرون •

وكأنه يقول لكل هؤلاء : اننى لم أولد فى قصر ملك ،
ولا على سرير من حرير ، وانما فى مزود للبهائم • ولكنى
سأجعل هذا المزود أعظم من عروش الأباطرة والملوك ...
سيأتبه الناس من مشارق الشمس الى مغاربها ليتباركوا منه •

**ليس المكان هو الذى يمجّد الانسان ، ولكن الانسان هو
الذى يمجّد المكان • والعظمة الحقيقية انما تنبع من الداخل •**

فليحل الرب فى أى مكان ، ولو كان مكانا للبهائم ،
وليولد فى أية قسرية ولو كانت هى الصغرى فى يهوذا •
ولكنه سيرفع من شأن كل هذا ... يولد فى هذه الحقارة ،
ويعول الحقارة الى مجد •

يولد من فتاة فقيرة ، ويجعلها أعظم نساء العالم ...
ويولد فى بيت رجل تجار بسيط ، فيحوّله الى رجل قديس
معشهور فى الكنيسة ...

أُخْبَاهِي زَوَاتِهِ مِنْ ظِلَالِ الْعِظَمَةِ

أَخِي ذَاتَهُ مِنْ صِفَةِ الْمَلِكِ :

كَانَ يُمْكِنُ لِعَلْمِنَا الصَّالِحِ أَنْ يَأْتِيَ كَمَلِكٍ • وَلَوْ أَتَى
كَذَلِكَ ، مَا كَانَ أَحَدٌ يَنْكُرُ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَلِكٌ • فَهُوَ مِنْ سَبِطِ
يَهُوذَا صَاحِبِ الْمَلِكَةِ ، وَمِنْ نَسْلِ دَاوُدَ الْمَلِكِ • وَلَكِنَّهُ أَخِي
ذَاتَهُ مِنَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ (رُؤ ١٧ : ١٤) •••

لَمْ يَأْتِ فِي هَيْئَةِ مَلِكٍ • لِأَنَّ الْيَهُودَ فِي تَعَاخُرِهِمْ بِالْعِظَمَةِ
الْبَشَرِيَّةِ ، كَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسِيحُ كَمَلِكٍ عَظِيمٍ ، لِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ عِظَمَةَ الْمُلُوكِ هِيَ الَّتِي تَخْلُصُهُمْ • وَكَانَ رَأْيُ
الرَّبِّ أَنْ يَحْطِمَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ أَيْضًا • فَلَمْ يَخْلُصَهُمْ بِعِظَمَةِ
الْمُلُوكِ ، بَلْ بِتَوَاضُعِ التَّجَارِ النَّاصِرِيِّ ، الَّذِي اسْتَهَانُوا بِهِ
قَائِلِينَ « أَلَيْسَ هَذَا هُوَ ابْنُ التَّجَارِ ؟! » (مَتَّى ١٣ : ٥)
« أَلَيْسَ هَذَا هُوَ التَّجَارُ ابْنُ مَرْيَمَ ؟! » (مَرْ ٦ : ٣) •

أَتَى كَتَّاجٍ بَسِيطٍ ، وَلَمْ يَأْتِ كَمَلِكٍ • وَلَمَّا سَعَى إِلَيْهِ
الْمَلِكُ ، رَفَضَهُ وَهَرَبَ مِنْهُ • وَلَمَّا « رَأَى » أَنَّهُمْ مُهْتَمُونَ أَنْ يَأْتُوا
لِيُخْطِطُوا لَهُ وَيَجْعَلُوهُ مَلِكًا ، انْصَرَفَ إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ ،
(يُو ٦ : ١٥) •

ورضى أن يحاكم أمام عبيده ، أمام بيلاطس وهيرودس ،
وأمام أعضاء مجلس السنهدريم . . . وكان يقول « مملكتى
ليست من هذا العالم » (يو ١٨ : ٣٦) .

أخلى ذاته من صولجان الملك ومن الكرامة المقدمة للملوك ،
مفضلا أن يحاط بمحبة القلوب الطائعة لقلبه ، وليست
الخائفة من سطوة سلطانه . . .

أخلى ذاته من كرامة الرئاسة :

لم يطلب أن يكون رئيسا لتابعيه ، أو سيذا . . . وإنما
صديقا لهم . وهكذا قال لتلاميذه « لا أعود أصمىكم عبيدا
. . . لكنى سمىكم أحياء » (يو ١٥ : ١٥) . وخاطبهم فى
أحدى المرات قائلا « أقول لكم يا أصدقائى . . .
(لو ١٢ : ٤) .

وأخلى ذاته للدرجة انه انحنى وغسل أرجلهم . . .

لم يعامل الناس كعبيدا من صنع يديه . . . بل كانت
تربطه بهم رابطة الحب لا رابطة الرئاسة . ان البشر هم الذين
يستهوهم حب الرئاسة والسلطان . . . أما معلمنا المتواضع
فكان يريد قلوب الناس لا خضوعهم ، وكان يريد محبتهم
لا تدليلهم . ولم يقم نفسه رئيسا للناس بل صديقا .

لذلك كان محبوبا لا مخافا . يهابه الناس عن توقير ،
لا عن رعب . لم يرد ان تكون له الرهبة التى ترعب الناس ،

بل الحب الذى يجذب الناس • وهكذا أمكن للأطفال أن تلتف حوله ، وأمكن ليوحنا أن يتكىء على صدره •

ان كل من يحب العظمة ، لم يتمتع بفاعلية الايمان بعد •
قال الأنسأ أنطونيوس مرة لأولاده • يا أولادى ، أنا لا أخاف الله • فأجابوه • ان هذا الكلام صعب يا أبانا • فقال لهم • ذلك لأنى أحبه • والمحنة تطرد الخوف الى خارج • (ايو ٤ : ١٨) •

ان أهل العالم يحبون السلطة والنفوذ والسيطرة •
يريدون أن يخافهم الناس ، ولو عن قهر • أما المسيح الهنا فيقول • من يحبنى يحفظ وصاياى • • يعنى أن حفظ وصاياى يكون عن حب وليس عن خوف •••

حتى فى صنع المعجزات •••

أخلى الرب ذاته ، فلم يستخدم قوته على صنع المعجزات الا فى الضرورة القصوى •

لم يستخدم قوته من أجل ذاته ، ولا من أجل منفعة خاصة
لم يستخدم لاهوته ليمنع عن نفسه الجوع أو العطش أو التعب أو الألم • رفض أن يحول الحجارة الى خبز لسد جوعه الشخصى ، بينما بارك الخمس خبزات من أجل اشفاقه على الناس •

لم يستخدم قوته ليبهر الناس بالمعجزات ، ولا من أجل الايمان •
وعندما كانوا يطلبون منه معجزة لأجل (الفرجة) لم يكن يقبل • بل كان يبكتهم قائلا • جيل فاسد وشريد

يطلب آية ولا تعطى له . . . (متى ١٢ : ٣٩) . لم يبهر
الناس بالمعجزات مثلما فعل سيمون الساحر ، ومثلما فعلت
عرافة فيلبى ، ومثلما سيحدث فى الأزمنة الأخيرة من المسيح
الذجال والوحش والتنين . . .

**رفض أن يلقي نفسه من على جناح الهيكل ، لتحمله
الملائكة .** ويرى الناس المطر فينذهلون ويؤمنون معجبين
بعظمته . . . رفض ذلك ، لأنه أخلى ذاته من اعجاب الناس .
ان معلمنا الصالح لم يحط نفسه بالمجد ، لأنه أراد أن يلتف
الناس حول التواضع وليس حول المجد .

**ومعجزة كحادثة التجلى التى كان يمكن ان تبهر الجماهير،
لم يشأ أن يراها كل الشعب ، ولا حتى كل تلاميذه الاثنى
عشر ، بل رآها ثلاثة فقط ، وأوصاهم ألا يظهروها . . .** كان
ذاهدا فى كل هذه الأمور الى يبحث عنها من يريدون أن
يظهروا ذوابهم . . . بل أكثر من هذا انه بعد كل معجزة
تبهر البصر كان يخفى تلك المعجزة بعمل من أعمال الضعف
البشرى أو بكلام عن آلامه . . . أو يطلب ممن حدثت معه
أن يخفيها . . .

وحتى من أجل الايمان لم يشأ أن يبهر الناس بالمعجزات .
أراد أن يكون ايمانهم بدافع من الحب والاقتناع وليس بسبب
المعجزات . وما الدليل على هذا ؟

**دليلنا انه كان يطلب الايمان قبل المعجزة . وليس
كنتيجة لها .** وكثيرا ما كان يسأل الذى يجرى معه المعجزة

« أتؤمن ؟ » ، أو يقول له ، « لك حسب إيمانك » . وإن كان يؤمن فيما يحدث معه المعجزة ... ولذلك قيل عنه أنه في وطنه ، لم يصنع هناك قوات كبيرة لعدم إيمانهم . (متى ١٣ - ٥٨) . كان الإيمان يسبق المعجزة . وكانت المعجزة نتيجة للإيمان وليس سببا .

وكثير من معجزات السيد الرب كانت أعمال رحمة وحب

وكانت لها أهداف روحية ... تتبعوا عنصر الحب والحنان في معجزات الرب يظهر لكم واضحا وجليليا . وهكذا نرى في معجزة إقامة العازر أنه بكى قبل أن يقيمه . إن الحب الذي كان يعنصر قلبه ، ظهر أولا في عينيه الدامعتين ، قبل أن تظهر قوته في عبارة « هلم خارجا » . وكثير من معجزات الشفاء كانت تسبقها عبارة « فتحنن يسوع » أو « أشفق » أو ما شابه ذلك ...

ولم يستخدم معجزاته في الدفاع عن نفسه ، أو في

الانتقام من مضطهديه وشاتميه . أهانوه بكل أنواع الإهانة ، وأشبعوه شتما وبغيضا . وكان يستطيع أن يجعل الأرض تفتح فاتها وتبعلهم ، أو تنزل نار من السماء وتفنيهم . ولكنه لم يفعل . كان قد أخلى ذاته من استخدام هذه القوة التي فيه .

وعاش بغير لقب ، وبغير وظيفة :

● عاش السيد المسيح بغير لقب ، وبغير وظيفة رسمية في المجتمع ، وبغير اختصاصات في نظر الناس ... ماذا

كانت وظيفة المسيح في نظر المجتمع اليهودي ، أو في نظر الدولة ؟! لا شيء كان أمامهم مجرد رجل يجول من مكان الى آخر ، يعمل ويعلم ، دون أن يستند الى وضع رسمي

● لم يكن من أصحاب الرتب الكهنوتية في نظر الناس ، لانه لم يكن من سبط لاوى ولا من أبناء هارون . فقد كانت أمه ويوسف النجار من سبط يهوذا .

ووصل اخلاؤه لذاته في هذه الناحية ، انه عندما شفى الرجل الأبرص ، قال له : اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم القربان الذى أمر به موسى ، (متى ٨ : ٤) . يالها من عبارة مؤثرة للغاية !! تصوروا رئيس الكهنة الأعظم ، منشئ الكهنوت ومؤسسه ، ومنبع كل سلطة كهنوتية ، يقول للأبرص : اذهب أر نفسك للكاهن !! . . .

وماذا عنك أنت يارب ، أنت الكاهن الى الأبد على طقس ملكى صادق ؟ لماذا ترسلنى الى كاهن ، وأنت راعى الرعاة وكاهن الكهنة ؟! ما أعجبك فى اخلائك لذاتك ! تتصرف كمن لا سلطة له ، وأنت مصدر كل سلطة !!

● وعاش السيد المسيح بدون أى مركز اجتماعي ، ولم تكن له أية صفة رسمية على الإطلاق . حتى في وضعه كمعلم لم يكن من طوائف الكتبة والفريسيين المؤتمنين على التعليم في ذلك الحين ، ولا من جماعة الكهنة الذين من أفواههم

تطلب الشريعة (أر ١٨ : ١٨) ، ولا من الشيوخ ولا من
البارزين في المجتمع ...

وعلى الرغم من كل ذلك ، ملا الدنيا تعلما ، وكانوا
يلقبونه بالمعلم ، والمعلم الصالح ، ودعى معلما حتى من
أصحاب المكانة العلمية كالكتبة والفريسيين ...

وهكذا أربانا كيف يمكن أن يعيش الشخص بلا لقب ،
ومع ذلك يعمل أكثر من أصحاب الألقاب !!

وفي حياته كعلم ، عاش وقد أخل ذاته من كل شيء :

لم يكن له مكان يعلم فيه ...

أحيانا كان يعلم وهو جالس على الجبل ، وأحيانا يكلم
الناس وهو واقف في سفينة ، وهم جلوس على الشاطئ ...
وأحيانا كان يعلم وهو في وسط الزروع والبساتين ، يتأمل
مع تلاميذه زنابق الحقل وطيور السماء ... وأحيانا كان
يعلم في الحلاء ، في موضع قفر ، في البرية . وأحيانا في
الطريق ... وعلى العموم لم يكن له مكان خاص للتعليم ،
لا مركز ثابت . ولا مكان ثابت ... بل لم يكن له أين يسند
رأسه (لو ٩ : ٥٨) .

واذ أخل ذاته من الارتباط بمكان معين ، أصبح له كل
مكان ...

عجيب أن الله الذي ملا السموات والأرض ، لم يكن له
أين يسند رأسه ... عندما ولد يقول الكتاب « لم يكن له

موضع في البيت ، (لوقا ٢ : ٧) . وطول فترة تجسده
على الأرض لم يكن له مسكن معين . يذهب أحيانا الى بيت
مريم ومرتثا ، وأحيانا الى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس ،
وأحيانا الى بيت سمعان ، وأحيانا الى بستان جثيمانى
... ما أعجب قول الكتاب : ومضى كل واحد الى بيته . أما
يسوع فمضى الى جبل الزيتون ، (يو ٨ : ١) ...

والذين كانوا يتبعونه ، كانوا يسرون وراء المجهول ...
لا يعرفون لهم موضعا ولا مركزا ، ولا مالية معينة ، ولا عملا
محددا . عندما قال السيد لمتى اللاوى : اتبعنى ، تبصه
متى ... ولو سألته : الى أين ؟ ، لما عرف كيف يجيب ...
ولو سألته ماذا ستعمل ؟ لوقف أمام علامة استفهام لا جواب
لها . لقد أراد الرب لتلاميذه أن يخلوا ذواتهم أيضا ... هم
مجرد تلاميذ ، لا يعرفون لهم عملا سوى أن يتبعوا المسيح ،
الذى لا يعرفون له وظيفة ولا عملا رسميا ولا مكانا ثابتا ...

يعيط به جماعة من المساكين :

وكما أخل المسيح ذاته ، أحبه الذين أخلوا ذواتهم ، أو
الذين لا ذوات لهم : فاحاطت به مجموعة من الفقراء
والمساكين والمزدرى وغير الموجود ... جماعة من جهال العالم
وضعفاء العالم وأدنياء العالم (اكو ١ : ٢٧ ، ٢٨) . وهكذا
اختار تلاميذه : جماعة من الصيادين الجهلة ، كما اختار واحدا
من العشارين المرفولين .

والذين أحاطوا به كانوا من جماعة الشعب الأحرار الذين
 لا تعد بهم أحد ، والخطاة والعنصريين الذين جحدت أساسهم ،
 وأنساء أيضا ثلاثي لم تكن لهم مكانة في المجتمع اليهودي
 ... وهكذا كانت نسوة كثيرات تسعنه (يو ٢٣ - ٢٧) ...
 وحول صديقه وثقت النسوة لا سيووح الشعب ... وبك
 عليه بنات أولادهم (يو ٢٣ - ٢٨) ولم يبق منه أعضاء
 مجلس السنيديزم ...

عاش النساء بسيطا بلا مركز وبلا لقب . يحيط به
 أشخاص مجهولون بلا مركز وبلا لقب أيضا ...

وحتى لقبه الطبيعي « ابن الله » . لم يستخدمه كثيرا .
 وكان يستبدله في غالب الأحيان بلقب « ابن الانسان » ...
عاش وسط الشعب ، لا وسط الرؤساء . وكان قريبا
من الصغار ، بعيدا عن الكبار المعتبرين ، يحبه الشعب
ويستطهده الرؤساء ... وحسنا تبا عنه داود قائلا « الأعزاء
 داموا علي » (مز ٥٤ - ٣) « الرؤساء اضطهدوني بلا سبب »
 (مز ١١٩ : ١٦١) .

حتى الذين استضافوه كانوا من البسطاء أو من المحقرين
 فدخل بيت مري ، ولم يدخل بيت بيلاطس ولا بيت هيرودس
 ودخل بيت زكا ، ولم يدخل بيت حننا ولا بيت قيافا ...

عاش فقيرا :

أخلى ذاته من المال والجاه ، فعاش فقيرا لا يملك شيئا

وهو مغنى الكل • حتى أنهم لما طلبوا منه الجزية لم يجد ما يعطيه لهم ، فطلب من بطرس أن يلقي الشبكة ويصطاد ويدفع لهم (متى ١٥ : ٢٧) •

وعاش مرفوضا ...

« الى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١)
كسور أشرق فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه (يو ١ : ٥) ،
بل أحب الناس الظلمة أكثر من النور ... (يو ٣ : ١٩) •
وأصبح الاتصال به تهمة ، والتلمذة له عارا ...

حتى ان نيقوديموس عندما أراد مقابلته ، قابله فى الخفاء ، سرا وليلا (يو ٣ : ٢) وحتى أن اليهود فى اهانتهم للمولود أعمى اذ آمن بالمسيح بعد شفائه ، شتموه قائلين له أنت تلميذ ذاك (٩ : ٢٨) وهكذا أصبحت التلمذة لذاك الناصرى من أنواع السب ووصمة عار • وجاء الوقت الذى أصبح فيه تلاميذه مغلقين على أنفسهم فى العليقة لا يستطيعون الخروج منها ، خوفا من مسبة انتسابهم لذاك الناصرى ...
وهكذا وجدنا عملافا عظيما كبطرس تبرأ من المسيح ومن الانتساب اليه ، وأخذ يذعن ويحلف قائلا انه لا يعرف الرجل (من ١٤ : ٧١) •

وعاش مضطهدا فى حياته ...

ان السيد الرب لم يخل ذاته من المجد اللائق أن يحيط بلاموته ، بل أدخل ذاته حتى من مجد البشرية أيضا ، فكان

محتقرا ومخذولا من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن ..
محتقر فلم يعتد به ، (أش ٥٣ : ٢٠ ، ٣)

أمسكوا مرة حجارة ليرجموه (يو ١٠ : ٣١) . ومرة
أخرى « أخرجوه خارج المدينة وجاءوا به الى حافة الجبل حتى
يطرحوه الى أسفل (لو ٤ : ٢٩) ... وطاردوه في كل
مكان ، محاولين أن يصطادوه بكلمة .. ولم تكن له كرامة
في وطنه .

**وتقبل كل هذه الإهانات الكثيرة ، وهو الذي لم يفارق
لاهوته ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ...**

قالوا له انك سامري وبك شيطان ! وقالوا عنه انه
أكول وشريب خمر ، ومجذف ، وضال ، ومضل . قالوا انه
ناقض للشريعة وكاسر للسبب ، وانه يبلزبول يخرج
الشياطين . فماذا أجاب المسيح ؟ ما أجمل قول القداس
الغريغوري « من أجل احتملت ظلم الأشرار . بذلت ظهرك
للسياط ، وخديك أهملت للطم ، ...

**كيف ان هذا الذي تجثو أمامه كل ركبة مما في السماء
وما على الأرض ، الذي ليست السموات ظاهرة قدامه ، كيف
انه « لم يرد وجهه عن خزي البصاق » ؟! الجواب الوحيد انه
أخل ذاته .**

وهكذا ضربوه ولطموه ... ما أعجبه في اخلائه لذاته !
يصل الأمر بتخالق السماء والأرض أن يسمح لإنسان من

رب أن يصفعه على وجهه ، وبقبل ذلك ويسكت ...! » ظلم
لما هو قنديل ولم يفتح ماء • كشاة تساق الى الذبح ،
وتسعة صامنة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه • (أش ٥٣ : ٧)

ووصلت الاستهانة بآله الكل الذى أدخل ذاته ، الى أنهم
فضلوا عليه رجلا قاتلا ولصا هو باراباس ، طالبين أن
يصلب المسيح • بل وصلت المهانة بآله الكل الى أن أصبح
ثمنه ثلاثين من الفضة ، ثمن عبد !!

انه لم يأخذ فقط شكل العبد ، وانما بيع أيضا بثمن عبد
... استغل الناس إخلاء لذاته ... فلم يمتنع عن إخلاء
ذاته ، من أجل الناس •

وكما عاش مضطهدا في حياته ، عاش مضطهدا بعد مماته
أيضا • فحتى قبره كانت تحرسه الجنود المدججة بالسلاح ،
خائفين ان (ذلك المصل ' ') يقوم ، فتكون الضلالة الأخيرة
أشر من الأولى • (متى ٢٧ : ٦٣ ، ٦٤) • وهكذا ختموا
القبر بالاختام ، وضبطوه بالحراس ...

وهكذا لا حقوه بالشتائم بعد موته • وادعوا أن تلاميذه
أتوا ليلا وسرقوه • ودفعوا في سبيل ذلك ما دفعوه من
رشوة ...

جراة الشيطان عليه :

عبارة « أدخل ذاته » لم ينطبق عليه في فترة ميلاده
فحسب ، بل صاحبه طوال حياته على الأرض في الجسد ...

من أجل أنه أخلى ذاته ، تجرأ الشيطان ليجربه .
ووصل الرب في إخلائه لذاته ، الى حد أنه ترك الحرية
للسيطان ، يختار الزمان والمكان ونوع التجربة ... ما أشد
على النفس قول الكتاب « ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة ،
وأوقفه على جناح الهيكل ، وأيضاً » ثم أخذه ابليس الى جبل
عال جدا ، (متى ٤ : ٥ ، ٨) .

ابليس « ياخذ » « ويوقفه » حيثما يشاء !! يا للهول !!
ما أشد هذا الإخلاء للذات ... من يحتمله ؟ ...

واذا بهذا الاله الكامل في معرفته المخبأة فيه كل كنوز
العلم والمعرفة ، يقول عنه الكتاب ان الشيطان « أراه » جميع
ممالك الأرض ومجدها !! « أراه » ؟! وهو الذي يرى
الخفيات والمكنونات ، ويعلم حتى اعماق الفكر وبواطن
القلوب ...

وهذه الممالك ، التي كلها من صنعه ، وكلها له ، والتي
بيده بقاؤها وانحلالها ، يقول له الشيطان « لك أعطى هذه
جميعها » ... وتصل الجرأة بالشيطان ان يقول له « ان
خررت وسجنت لي » ... هل الى هذه الدرجة تصل الجرأة ؟!
ما أعجبك يارب ! من يقدر على مثل هذا الإخلاء ؟!

واخيراً :

يعوزنا الوقت ان تحدثنا عن كل نواحي إخلاء الرب لذاته
... الأمثلة عديدة ، لا تحصى ... وإخلاء الرب لذاته له
جذور ممتدة في العهد القديم ، اتركها حالياً لتأملاتكم
الخاصة ...

أَهْلَى زَوَاجِهِ وَرَفَعَ شَأْنُ أَوْلَادِهِ

العجيب أن المسيح الهنا بقدر ما كان يخلى ذاته ، كان من الناحية الأخرى يرفع من شأن أولاده ...

**أخذ شكل العبد ، وأعطانا أن نصير شركاء الطبيعة
الالهية ! (٢ بط ١ : ٤) .** حقا كما تقول تسابيح الكنيسة
« أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له » . وهكذا صارت لنا
شركة معه (ايو ١ : ٦) . وصرنا « شركاء الروح القدس ،
(عب ٦ : ٤) ، (٢ كور ١٣ : ١٤) ، وشركاء فى الميراث
(١ ف ٣ : ٦) ... وصرنا جسده ، وأعضائه ، ثابتين
فيه ، كالأغصان فى الكرمة ...

وصار الرب يقربنا اليه باستمرار ، ويرفعنا قدامه ...
**ومع أنه ابن الله الوحيد ، الكائن فى حضن الأب منذ
الأزل ، يسمى نفسه فى غلبة الأوقات « ابن الانسان » .**
**ونحن نرى الانسان يدعونا أولاد الله ، ويكررها مرات
عديدة ...**

ويقول عنا اننا نور العالم ، ويطلب الينا أن يضيء نورنا
قدام الناس (متى ٥ : ١٤ ، ١٦) . ويدعونا أصدقاء له ،
وأحباء ، وخاصته التى يحبها حتى المنتهى . ولكن الأكثر من

هذا كله أن يسمح الرب بأن ندعى اخوته ! ويقول الكتاب
« ومن ثم كان ينبغي أن يشبهه اخوته في كل شيء »
(عب ٢ : ١٧) ويقول أيضا « ... ليكون هو بكرا بين
أخوة كثيرين » (رو ٨ : ٢٩) .

من هم اخوته هؤلاء ؟ هم نحن التراب والرماد ...

لو أن أحد الآباء الكهنة في أمانيا ، أرسل خطابا الى
واحد من أولاده ، يقول له فيه « أيها الأخ العزيز » ، لصاح
لباس . ما هذا السواصع العجيب واحلاء الداب ؟ كيف
يدعو ابنه أحدا له ؟ فمادا نقول إذن عن رب الأرباب عندما
يدعونا اخوته ؟ ...

بل أكثر من هذا ان الرب كثيرا ما يخدفي لنظهر نحن .
وعندما ظهر الرب لساؤل الطرسوسي ودعاه ، فاستجاب
وقال « مادا تريد تارب أن أفعل » (أع ٩ : ٦) . حوله
الرب الى القديس حانيا في دمشق قائلا له : « قم وادخل
المدينة ففعل لك مادا ينبغي أن تفعل » . وظهر الرب في
رؤيا لحنانيا ، وكلمه من حية شاول ، فسمعاه وعمده وبعث
لله رسالة الرب .

ان أهل الكهنوت كله ، وكل أعمال الخدمة والرعاية ، هي
أعمال للرب ، يعمل فيها الله في اختفاء ، ويجعلنا نحن
ظاهرين في الصورة . هو يعمل فينا ، وهو يعمل بنا ، وهو
يعمل معنا ، ولكنه غير طاهر ، أما نحن فمعدو للباس كأنما
نعمل . بينما « ليس الفارس شميئا ولا الساقى » بل الله

الذى ينمى ، (اكو ٣ : ٧) . ولكن الله كثيرا ما يعطى السلطان لأولاده ، دون أن يستخدمه مباشرة

والمطلوب من الخدام الذين يعمل فيهم الله فى اخفاء ،
أن يختفوا هم ليظهر الله . فمجد الله لا يجوز أن يعطى لآخر . أما الخدام فعليهم أن يصلوا فائلين : « ليس لنا يارب ليس لنا ، ولكن لاسمك القدوس اعطى مجدا » (مز ١١٥ : ١)

وعمل المعجزات بعمله الله أيضا فى اخفاء عن طريق أولاده
فيظهرون هم فى الصورة . أما الرب فيقول لهم فى حب « من يكرمكم بكرمى ، الله يرسل السيدة العذراء ، أو الملاك ميخائيل أو مارجرجس أو غيرهم من القديسين ، فيعملون معجزات ، ويمجدهم الناس ، ويفرح الرب بأن أولاده سمجدون . . . بل كثيرا ما يقع انسان فى ضيقه ، فيصرخ مستغيثا « يامار جرجس » ، ويسمع الرب ، ويرسل مار جرجس ، فيقده . . . أو ينذر انسان ندرا للعذراء . . . ويفرح الرب ويستجيب . . .

بل ان الكنائس - وهى كنائس الله - سمح أن تبني على
أسماء أولاده . فنقول كنيسة العذراء ، وكنيسة مار جرجس ، وكنيسة الانبا أبطونيوس ، وكنيسة مار مرقس . . . وكلها بيوت للرب . ولكن الرب يفرح بأولاده . . .

بل حتى شريعة الرب ينسبها أيضا لأولاده أحيانا ،
فيقول « ناموس موسى » أو « شريعة موسى » ، بينما هى شريعة الرب لا غيره . ويقول الرب للابرس « قدم القربان الذى أمر به موسى » (متى ٨ : ٤) ويقول أيضا « موسى من

احل قسماوة قلوبكم اذن لكم أن تطلقوا نساءكم ،
(متى ١٩ : ٨) ، بيسما الذى اذن هو الله ، والذى أمر هو
الله . ولكن الله يرفع من شأن موسى ، ويضع اسمه بدلا من
نفسه ! ...

من هم هؤلاء يارب الذين تريد أن تظهرهم ؟ انهم تراب
ورماد ، عدم وليس لهم وجود ... ولكنهم احباؤك ،
قديسوك ...

هناك عبارة عجيبة في العهد القديم ، وقفت أمامها منذ هلا
لحظات طويلة ... في قصة الله مع موسى النبي . عندما
ثقلت المسئولية على موسى ، قال له الرب : اجمع الى سبعين
رجلا ... فانزل وأتكلم معك هناك . وأخذ من الروح الذى
عليك وأضع عليهم ، فيحملون معك ثقل الشعب ،
(عد ١١ : ١٦ ، ١٧) .

تصوروا ، الله يأخذ من الروح الذى على موسى ويضع
عليهم ! وما هو الروح الذى على موسى ؟ أليس من عندك
يارب ؟! كيف تأخذ منه ؟ وكيف تأخذ منه أمام كل هؤلاء
الناس ؟ اعطهم انت من عندك مباشرة كما أعطيت لموسى ،
انت يا مصدر كل عطية صالحة ، انت مصدر الحكمة والتدبير
والعزم ... كلا ، اننى آخذ أمامهم من الروح الذى على موسى ،
وأضع عليهم ، وأرفع شأن موسى فى أعينهم ... مبارك انت
يارب فى كل تدبيرك الصالح .

الله يحب أولاده ، ويريد أن يكرمهم ، فى السر والجهر .
بل ان الله كثيرا ما كان يسمى نفسه بأسماء أولاده ...

فيقول أنا اله ابراهيم ، وان اسحق . واليه يعقوب
(مرق ٣ : ٦) . ما هذا بارب . انهم هم الذين يدعى ان
ينتسبوا اليك . . . الله يخفى ويظهر أولاده . وهم بالمال
يخفون لكي يظهر هو . انها محبة متبادلة .

**ومن المظاهر العجيبة في اخلاء الرب لذاته ، ورفع شأن
أولاده ، قصة عماد الرب من عبده يوحنا بن زكريا . . .**

يوحنا الذي لم يكن مستحقا أن يسحني ويحل سبيور
حذاته ، يوحنا الذي قال له في صراحة « أنا محتاج أن
اعتمد منك » ، يقف أمامه رب المجد قائلا « اسمع الآن » . . .
فسمع له ، واعتمد الرب منه . . . ياللعجب . . . رئيس
الكهنة الأعظم ، وراعى الرعاة ، الكاهن الى الأبد على طقس ملكي
صادق بأنى ليعتمد من يوحنا ، بينما تنفتح السماء ، ويسمع
صوت الآب قائلا « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »
(متى ٣ : ١٣ - ١٧) .

**كانت معمودية يوحنا للتوبة . . . ولم يكن السيد المسيح
محتاجا الى التوبة مطلقا لأنه قنوس بلا عيب . فلماذا اعتمد؟!**
الذين جاءوا الى يوحنا ليعتمدوا جاءوا معترفين بخطاياهم
(متى ٣ : ٦) . ولم تكن للرب خطايا يعترف بها ، ويتوب
عنها ، ويعتمد بسببها ، حاشا . . . فلماذا اعتمد اذن .

انه من أجلنا أخذ ذاته وأخذ شكل العبد . . . وبفلس
الوضع ، من أجلنا اعتمد . من أجلنا أخذ شكل الخطاة ، اذ
وضع عليه اثم جميعنا ، ووقف يطلب عنا معمودية التوبة ،
كنائب عن البشرية الخاطئة . . .

لماذا أخفى الرب ذاته ؟

كثيرة هي الأسباب التي لأجلها أخفى ذاته ، نذكر منها :

١ - لكي نستطيع أن نتمتع به ونوجد معه :

لو انه احتفظ بجلال لاهوته ، ما كان انسان يستطيع ان يقترب اليه . . . ما كان تلميذه يوحنا يجرؤ ان يتكىء على صدره ، وما كان الأطفال يستطيعون ان يحضوا نحوه ويحيطوا به ويهرعوا الى حضنه . وما كانت المرأة الحاطنة تستطيع ان تنقدم نحوه وتمسح قدميه بشعرها . بل ما كانت العذراء تستطيع ان تحمله على كتفها أو ترضعه من ثديها .

لو كان قد نزل في قوة لاهوته ، لكان الناس يرتعبون منه ويخافون . . . ان الرب عندما نزل على الجبل ليعطي الوصايا العشر ، « ارتجف كل الجبل جدا ، وصار كل الجبل يدخن ، وصعد دخانه كدخان الآتون » (خر ١٩ : ١٨) و « ارتعد الشعب ، ووقفوا من بعيد » وقالوا لموسى : تكلم انت معنا فنسمع . ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت » (خر ٢٠ : ١٨ ، ١٩) .

**وهكذا رأى الرب أن يغلب ذاته ، حتى يمكن للناس أن
يختلطوا به دون أن ترتعبهم هيئته ، أو يصددهم جلاله ...**

ان موسى النبى ، عبد الرب ، عندما فصى معه أياها على
الحبل لأخذ اللوحين ، نزل فاذا وجهه يلمع لمعد لم يستطع
الناس أن يحتملوه ، فحافوا أن يقربوا اليه ، . لذلك كان
يضع على وجهه برقع حتى يحتمل شعب أن يسطروا اليه
(خر ٣٤ : ٢٩ - ٣٥) .

**فان كان هذا هو الجلال الذى أخذه موسى من عشرته
للرب ، فماذا يكون جلال الرب نفسه ؟! وان كان الناس لم
يحتملوا النور الذى على وجه موسى وهو نازل من عند الرب ،
وكيف تراههم كانوا يحتملون نور مجد الرب الذى قال عنه
المهندس يوحنا الرسول فى رؤياه ان وجهه كالشمس وهى
بضئ فى قوتها ، (رؤ ١ : ١٦) ؟!**

**انه عندما ظهر لساول الطرسوسى ، عميت عيناه من
قوة النور . وضح مرة لا يبصر والقشور تغطى عينيه . فمن
كان يحتمل أن يرى الرب فى مجده ... من يرى الرب
ويعيش ؟!**

**وعندما أظهر الرب شيئا من مجد لاهوته على جبل التجلى ،
كان التلاميذ مرتعبين ، ولم يكن بطرس يعلم ما يتكلم به
(مر ٩ : ٦) . ولما سمعوا الصوت من السحابة ، سقطوا
على وجوههم ، وحافوا جدا ، (متى ١٧ : ٦) . كيف كان**

ممكنا اذن أن يحتمل الناس مجد الرب لو لم يخل ذاته ؟
وهو أيضا من أجل انكاره لدائه ، لم يأخذ معه كل تلاميذه
الى جبل التجلى ، ولم يعلن هذا المجد للجميع . وحتى الذين
شاهدوا محده « أوصاهم أن لا يحدثوا أحدا بما أبصروا الا
متى قام ... » (مر ٩ : ٩) .

ان اخفائه لأمجاده مظهر آخر من اخلاء الذات ...

كان الرب يستطيع باستمرار أن يكون في محد التجلى
بين الناس ، ولكنه لم يفعل . كان يريد أن يسمعوا به ،
ويختلطوا به ، لا أن يرهبوه .
ولماذا أيضا أخلى ذاته ؟

٢ - اراد أن يصحح فكرة الناس عن الالهية :

**لقد اقترب اليها حتى لا تظل فكرة الناس عن الالهة ان
الله جبار ومخيف . فاراد ان يجلبنا بالحب لا بالخوف .**
أراد أن يدخل قلوبنا عن طريق محبته ، لا عن طريق
مخافته .

وهكذا نرى انه عندما رفضت إحدى قرى السامرة ان
تقبله ، رفض أن يسمح لتلميذه الذين طلبوا أن تنزل نار
من السماء وتفنى تلك القرية ، وبخهما قائلا « لستما
تعلمان من أي روح أنتما » (لو ٩ : ٥٥) . انه لم يشأ أن
يرهب أهل السامرة بقوة ، بل أن يكسبهم بمحبته .
وصبر معلمنا الصالح الى أن جاء الوقت الذى دخل فيه

السامرة بالمحبة والترحاب لا بالنار النازلة من السماء . . .
الله لا يريد أن يكون مخيفا بل محبوبا . الناس بطبيعتهم
ينفرون ممن يخافونه . وقد يخضعون له في ذل ، لكنهم
ينفرون منه في قلوبهم . . .

**كان التلاميذ يريدونه قويا جبارا مهابا ، بحسب فهمهم
البشرى ، لذلك استهروا الذين قدموا الأبطال اليه . أما هو ،
فقال لهم « دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم . . . »
وأخذ الأولاد « واحتضنهم ، ووضع يديه عليهم وباركهم »
(مر ١٠ : ١٣ - ١٦) . وكذلك عندما انتهر التلاميذ
الاعميين الصارخين نحوه ، وقف المسيح ، وناداهما ، وتحنن ،
ولمس أعينهما فأبصرا وتبعاه (متى ٢٠ : ٣٠ - ٣٤) .**

٣ - وأخلى الرب ذاته ليعالج السقطة الأولى :

**ماذا كانت السقطة الأولى سوى الكبرياء ، سواء سقطة
الشيطان أو سقطة الانسان ؟! فالشيطان قال في قلبه
« أصعد إلى السموات ، أرفع كرسي فوق كواكب الله . . .
أصير مثل العلي » (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) . وعندما أسقط
أبويننا الأولين أعراهما بقوله « تنفتح أعينكما ، وتكونان مثل
الله . . . » (تك ٣ : ٥) .**

**أخلى الله ذاته آخذا صورة العبد ، لكي يعطى درسا للعبد
الذى أراد أن يرفع ذاته ويصير الها . وهكذا صار ابن الله
الوحيد ابنا للانسان ، ليعالج كبرياء الانسان ويجعله ابنا لله ،
بالاتضاع الذى اتضع به ابن الله ، وليس بكبرياء السقطة
الأولى . . .**

وهكذا في اخلائه لذاته قيل انه شابه « اخوته » في كل
شيء (عب ٢ : ١٧) .

ان الرب عندما يسمى عبيده ومخلوقاته اخوة له ، انما
يبكت الذين يعاملون اخوتهم كعبيد لهم ، أولئك الذين
يؤلهون أنفسهم كلما سالون مركزا أعلى من اخوتهم . . . أما
المسيح الهنا فم يعل هكدا . . . لقد أخلى ذاته ، حتى
استطاع بطرس أن تأخذه اليه ويسهره قائلا « حاشاك
ارب . . . » (متى ١٦ : ٢٢) . وسمح لكبرين أن يجادلوه
وشافشوه ، بعكس كبرين من البشر الذين لا يقبلون جدالا
من أحد . وكان تلاميذه يحاورونه حسبما يريدون حتى
سموهم « الحواريين » . . .

وهكذا أخلى المسيح ذاته ، وصار كواحد منا . . . أراد
الانسان أن يرفع ويصير مثل الله ، فزل الله وصار مثل
الانسان . . . لكي ينيله بغيره ، ولكن بطريقة سليمة ،
بإضاع الله لا بارتفاع الانسان . . .

الانسان كان يريد أن يقف مع الله في صف واحد . . .
وبدلا من أن يرتفع الانسان ليقف مع الله ، نزل الله ليقف مع
الانسان . لكيما ينزوله بخجل الانسان ويسحق نفسه
ويتضع قبله . وبإتضاعه يقرب الى صورة الله المتضع . لقد
أخذ الرب صورة العبد ، لكي يتخضع من تسامع السادة . . .
فليتنا نتضع كلما تأملنا اخلاء الرب لذاته . ليتنا نتضع
نحن الذين كلما أعطينا سلطانا في أدينا ، نريد أن تميد
الأرض تحت أقدامنا ، وترتفع السموات من فوق . . .

كيف نخلّي ذواتنا ؟

ان كان السيد المسيح قد أحلى ذاته - وفيه كل الملء -
فمعن الفراغ ، كيف نخلّي ذواتنا ؟! المسيح الذى فيه كل ملء
اللاهوت ، أحلى ذاته وصار فى الهيئة كإنسان . وهو الاله
أخذ شكل العبد ، فالعبد عندما يخلّي ذاته أى شىء يكون . ان
سريا بنفس النسبة فى اخلاء الذات ، ترى الى أين نصل ؟! .
عمق الاتضاع هو أن يسأل الانسان ذاته : ما هى ذاتى
حتى اخلّيتها ؟! وعندما يشعر الانسان أنه فراغ ، لا يوجد
فيه شىء يخلّيه ، يكون حينئذ قد وصل الى كل الملء

النزول الى فوق :

ان المسيح الهنا - عندما أخلّى ذاته - نزل من السماء
الى الأرض ، وما أبعد المدى بين الاثنين ! ونحن الذين على
الأرض ان أردنا أن ننزل منها - فالى أين ننزل ، وإلى أين
نهبط ؟ هل تعلمون الى أين ننزل ، وإلى أين نهبط ؟ لا شك
أننا فى هبوطنا ، انما نهبط من الأرض الى السماء . وفى

نزولنا انما نزل من تحت الى فوق . . !!

وهكذا نرى أن السيد الرب قد غير المقاييس البشرية ،
مقاييس العلو والهبوط . . . ألغاهما كلها ، وغيرها الى العكس
فقال « من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع »
(متى ٢٣ : ١٢) . وقال في نفس المعنى « من أراد أن يكون
فيكم عظيما ، فليكن خادما . ومن أراد أن يكون فيكم أولا ،
فليكن عبدا » (متى ٢٠ : ٢٦) . وقال ايضا « اذا أراد أحد
أن يكون أولا ، فليكن آخر الكل وخادما لكل » .
(مر ٩ : ٣٥)

**فالشخص الذي يرفع نفسه ، انما يهبط بمستواها
الروحي .** كلما انتفخ ، يتضائل ويضائل حتى يصبح
لا شيء . . . مثل هذا شبه القديس أوغسطينوس بالدخان
الذي كلما يرتفع ، تنسع رقعته . وكلما تنسع رقعته يبلأى
حتى يصبح لا شيء . وقد أخذ القديس أوغسطينوس هذا
التشبيه عن داود النبي عندما قال « لأن الأشرار يهلكون . .
فنوا كالدخان فنوا » (مز ٣٧ : ٢٠) « كما يذرى الدخان
بذريهم » (مز ٦٨ : ٢) .

ان الذين يطنون انهم يرفعون ذواتهم ، انما (يرفعونها)
الى أسفل ، لا الى فوق . وهذا هو ما قصده الرب بقوله « من
يرفع نفسه يتضع » . . .

اما المواقعون فكما يهبطون الى أسفل يرتفعون الى فوق
أو - ان صح التعبير - يهبطون الى فوق . . هم باستمرار

ينزلون الى الاعالى الكائنة فى الأعماق ، لأن السيد الرب
أعطانا فكرة جديدة عن العلو والعمق ، عندما أخلى ذاته ...
لقد علمنا ان العلو هو العمق ، وان العلو يوجد تحت لا فوق
... وأعطانا مقاييس للعظمة لم تعرفها البشرية من قبل .

ان المتضعين يرتفعون فى هبوطهم ، والمتكبرين يهبطون
فى صعودهم . وكل من يريد أن يصعد الى فوق ، ويلتصق
بالله ، عليه أن ينزل الى الأرض ويقول مع داود « لصقت
بالتراب نفسى » (مز ١١٩ : ٢٥) . والهنأ الناطر الى
المتواضعات « يقيم المسكين من التراب ، ويرفع البائس من
المزبلة ، ليجلس مع رؤساء شعبه » (مز ١١٣ : ٧) .

والآن ، كيف تغل ذاتك ايها الاخ :

ان لم تتمكن من اخلاء ذاتك بالتمام ، فعلى الأقل :

● **اخفض نفسك درجة عما تستحقه ، او عما تظن أنك**
تستحقه ، فى نظر نفسك ، وفى نظر الناس . فى احدى
المرات رسم كاهن جديد ، وقضى فترة الاربعين يوما فى الدير .
وفى تلك الفترة - وهو فى الدير - سألنى نصيحة له فى
خدمته المقبلة ، فقلت له :

« كن ابنا وسط اخوتك ، واخا وسط اولادك »

« انزل درجة باستمرار ، او درجات ... وباستمرار
اسلك بالبساطة فى معاملة تلاميذك ، وأولادك ، واخوتك
الصغار ... » . واليك تدريب آخر

● **جرب كيف تنازل عن حقوقك ، وعما يليق بك من كرامة .** وفى كل وقت صم أمامك الآية التى تقول « المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) ولا تطلب أن تأخذ كل حقوقك ، ولا تطلب أن تدافع عن نفسك فى كل شئ ولا ترد التصرف بمثله

● **فى اخلائك لذاتك القى عنك الاشياء ، التى تضغدهك** فى نظر نفسك أو فى نظر الناس ، سواء كانت داخل نفسك أو من الخارج . عليك أن تتجلى عن مظاهر العظمة ، وتعيش ببساطة

واعلم أن السيد المسيح فى اخلائه لذاته ، أعطانا فكرة ان العظمة لا تسع من مظاهر خارجية ، ولا من روعة محيط دلائمان . **وانما العظمة الحقيقية تنبع من الداخل ، من كنه الداب النقية .** كلما بصبر القلب نقيا ، يأخذ صورة الله ، وبصبر حقا على مثال الله جسما خلق فى البدء ، على صورة الله وشبهه (بك ١ : ٢٦ ر ٢٧) .

● **وفى كل نقاوتك وفضائلك ، انسب الفضل كله لله** لا الى نفسك . اسمر دائما ان الله هو العامل فيك ، وليس انا . وأشعر انك بدونه لا تستطيع أن تعمل شيئا

وذا اسمركت مع انسان فى عمل ، قدمه على نفسك فى كل شئ . اعطه الحقوق ، واعطه الفضل ، وانسب اليه ما تحارب بأن تنسبه الى نفسك من العظمة . وحاول أن تخفى ليظهر الله ، وليظهر اخوتك

● وإن لم تستطع أن تخل ذاتك ، فعلى الأقل لا تضع فوقها ثقلاً جديداً من الارتفاع ، حتى لا تنوء نفسك تحت ثقل ارتفاعك ...

على الأقل ... لا تكبر ذاتك • لا تتحدث عن نفسك • لا تشرح للناس فضائلك • لا تسرد قصصاً يفهمون منها شيئاً عالياً عنك ...

ضع أمامك صورة المسيح فى مظلته لذاته ...



مِلَّةُ الزَّهْمَانِ

ولكن لما جاء ملء الزمان ،
أرسل الله ابنه مولودا من امرأة
تحت الناموس .

(غل ٤ : ٤)

هل الزمان :

ان انتظار « هل الزمان » هو درس روحى عميق نستفيد
فى حياتنا ، عندما نتأمل قصة التجسد وكيف حدد الله
ميعادها •

عندما أخطأ آدم وحواء وعدهما الله بالخلاص ، قائلا لهم
ان نسل المرأة سيسحق رأس الحية • وأنجبت المرأة قاييز
وهاييل وشيث ••• ولم يحدث أن أحدا منهم سحق رأس
الحية • بل ظلت الحية رافعة رأسها فى خطر ، حتى كادت
تهلك العالم كله فى أيام نوح •••

— فالى منى يارب نسطر ؟ متى تحقق وعدك بالخلاص ؟

— « ليس لكم ان تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها
الآب فى سلطانه » (اع ١ : ٧) • فاصبروا وانتظروا خلاص
الرب • وكل شئ سيتم فى حينه ، فى هل الزمان •

ان الله يعمل فى الوقت المناسب ، حين يرى العمل
والظروف كلها تساعد على هذا العمل • الله طويل الأناة فى
تفكيره وفى تدبيره • ومعالجته للمشاكل ربما تأخذ وقتا
ولكنها تكون قوية ونافعة •

متى نفذ الرب وعده بالخلاص؟ نفذه بعد آلاف السنين •••

والحكمة فى ذلك سنوضحها فيما بعد • ولكننا نقول الآن
« ان يوما عند الله كآلف سنة ، وألف سنة عنده كيوم واحد »
(٢ بط ٣ : ٨) كل تلك الآلاف عند الله كأنها لحظة أو طرفة
عين •

أما البشرية فانها شغوفة بأن تنهى كل شىء بسرعة ...
حمى الاسراع هى حمى تمتاب البشر جميعا • تريد التعجل
فى كل شىء ، ولا تستطيع صبرا على شىء • والناس يجرون
وراء حاجاتهم جريا بدون تفكير فى غالبية الاوقات •

محبة العجلة والاسراع :

● وعد الرب ابانا ابراهيم بأن يكون له نسل ، مثل
بحوم السماء ورمل البحر • وانتظر ابراهيم طويلا ولم يعط
نسلا كنجوم السماء ... ولا حتى ابنا واحدا ... ماذا
بارب ، هل نسيت مواعيدك " كلا ، انتى لم أنس ، ولكنك
انت الذى تريد أن تتعجل الأمور قبل مواعيدها ...
" تقو وليشدد قلبك ، وانتظر الرب " ...

وعاد ابراهيم ، فانتظر مدة أطول ، ولكن النسل لم يعط
له ... فبدأ اليأس يتطرق الى قلبه ، ودفعه اليأس الى أن
يدخل على جاريتة هاجر ، وينجب منها ابنا ... ولكن مشيئة
الله ظلت كما هى • بسارة يدعى لك نسل ، (تك ١٧ : ٩)
... وعاد ابراهيم فانتظر سنوات أخرى ...

وحتى بعد ولادة اسحق ، مرت عليه عشرات السنوات ، ومازال الوعد الخاص بنجوم السماء ورمل البحر ينتظر التحقيق
 ... وعاد ابراهيم فاتخذ قطورة زوجة له . فولدت له زمران
 ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوفا (تك ٢٥ : ١ ، ٢)
 ... لم تكن مشيئة الرب في كل هؤلاء ، فأعطاهم ابراهيم
 عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه ... وانتظر حتى يحقق الرب
 وعده ، في ملء الزمان ... بطريقته الهادئة ، التي لا تعجل
 فيها ...

● **ان الياس من وعود الله ومواعيده يدعو الى التعجل .
 والمجلة تدعو الى استخدام الطرق البشرية . والطرق البشرية
 تتنافى مع طرق الله الصالحة . وسنأخذ مثالا لذلك رفقة زوجة
 اسحق :**

قال الرب لرفقة وهي بعد حبل « في بطنك أمتان ، ومن
 أحشائك يفترق شعبان : شعب يقوى على شعب ، وكبير
 يستعبد لصغير » (تك ٢٥ : ٢٣) . والكبير هو عيسو ،
 يستعبد للصغير الذي هو يعقوب .

**كيف هذا يارب ؟ كيف يستعبد الكبير للصغير ؟ طالما
 هو البكر فهو السيد ؟ فهل سيفقد البكورية ؟ وكيف
 يكون ذلك ؟**

يجيب الرب : اتركوا هذه الأمور لي ، سأعالجها بطريقتي
 الخاصة ، الهادئة الصالحة . ومرت الايام والشهور ... أين

يارب وعدك ؟ يجيب : انتظروا ، سيتم كل شيء فى حياته ،
فى ملء الزمان • ثم أتى اليوم الذى طلب فيه اسحق صيدا
من ابنه عيسو ، لكى يباركه • وهنا لم تستطع رفقة أن
تحتمل ، فقدمت حيلة بشرية لابنها يعقوب ليأخذ بها البركة
عن طريق خداعه لأبيه ...

**لماذا أسرع رفقة ؟ ولماذا لم تنتظر الرب ؟ ولماذا
لجأت الى الطرق البشرية الخاطئة التى لا تتفق مع مشيئة الله
الصالحة ؟ انها حمى الاسراع وعدم انتظار ملء الزمان ...**

وماذا كانت النتيجة ؟ كانت سنوات طويلة من المتاعب
والآلام ، قضاها يعقوب شريدا هاربا وخائفا من أخيه ،
ومتعبا من معاملة لابان السيئة وخداعه له • وقد سجل
يعقوب ملخص حياته هذه بقوله : أيام سنى غربتى ...
قليلة وردية ، (تك ٤٧ : ٩)

● **حنه أيضا كانت تطلب ابنا من الرب ، وكانت ضررتها
تغيظها غيظا • وبدا كما لو أن الرب كان يسمع ، ويظل
ساكنا ! ...**

ومرت الأيام ، وحنه مانزال عاقرا • وهكذا صار سنة
بعد سنة ، كلما صعدت الى بيت الرب أن (ضررتها فننة)
كانت تغيظها • فبكت ولم تأكل ، (اصم ١ : ٧) • والرب
يسمع ويرى ، ومع ذلك يبدو ساكنا لا يعمل شيئا ! • الى
متى يارب لا تستجيب ؟ الى متى نحتمل بكاء حنه من اغاظة
ضررتها ؟

يُجيب الرب: انتظروا ملء الزمان • لا يتعبكم طول أناتي، بل الذي يتعبكم هو حمى الاسراع • اسطروا ، فلانتظار فائدته ...

وكان من فائدة الانتظار أن حنه نذرت نذرا أن تعطي ابنها للرب كل أيام حياته • وقد كان ، وولد لها صموئيل • ولد صموئيل في ملء الزمان ، متأخرا جدا • ولكنه كان أفضل من جميع أولاد فننة ، صرة أمه التي كانت تغيظها ... من هم أولاد فننة ؟ انما لا نعرف شيئا عنهم ولا حتى عن أسمائهم ، أما صموئيل فيعرفه الجميع ...

● ليتنا اذن في معاملاتنا للرب ، نصبر ، وننتظر ملء الزمان •

ان الضيقات تحتاج إلى طول أناة ، حتى يرفعها الرب عنا في الحين الحسن ، في ملء الزمان ، بعد أن نكون قد أخذنا بركتها • ولكننا لا نعمل هكذا بل نصيق بسرعة ، ونصرخ « لماذا يارب تركتنا ؟ لماذا لم تسمع الصلاة ؟ » ...

قد يكون لك مريض تطلب شفاءه ، ويدع في ذلك • وقد يبطئ الرب في الاستجابة حتى يأتي ملء الزمان الذي يحدده للمريض حسب حكمته في اختيار الأوقات • أما أنت فتضجر وتصيح في ضجرك « ليه يارب ما بتسمعش ؟ آمال ايه لازمة الصلاة ؟ آمال ايه فايده سر مسحة المرضى !! » وتعمل خناقة مع ربنا ... ليس لأن الله قد أخطأ في حقك ، وانما بسبب محبتك للاسراع وعدم انتظارك ملء الزمان •

ملء الزمان ، هو الوقت المناسب :

بنفس حكمة ملء الزمان ، انتظر الرب حتى يعد كل شيء لتجسده ، ثم بعد ذلك نزل الينا ، في الوقت المناسب . . .
لم يكن هناك وقت مناسب أكثر من موعد مجيئه بالذات .
كان كل شيء مهيأ ، وكل شيء معدا . لذلك كان عمل مجيئه قويا ، وكان تقبل الناس له سريعا . . .

كانت النبوءات قد اكتملت ، وكذلك الرموز . وأعد الرب فهم الناس لها خلال مدى طويل ، حتى يستطيعوا أن سموعوها عندما سم المكشوب ويمحق الرمز . . .

اذنوا لذلك مثالا هو فكرة الذبيحة ، وفكرة الفداء :

كيف يدرج الله بهم عن الذبيحة التي عطي آدم وحواء عسريهما بجلدها ، الى ذبيحة هابيل التي « من أبكار عنقه ومن سمائها » ، الى فكرة ذبيحة الابن الوحيد التي تميلت في اسحق ، الى شروط الذبيحة التي بلا عيب ، التي يحمل خطية غيرها ويذبح عنه . . . ويركهم آلاوا من السمسم حتى احتضنوا العكرة واستوعبوها وصارت من بديهياتهم . . .
ان الله طريقته هادئة وطويلة المدى ، ولحسنها منتجة وزافعة . . .

صدقوني ، لو أن الله صير كل تلك الآلاف من السنين حتى يجد العذراء الطاهرة التي نسحق أن يولد منها الرب ،

**والتي تحتل أن يولد منها الرب ، لكان هذا وحده سببا
كافيا .**

وكان ينبغي أن ينتظر حتى يوجد الرجل البار الذي
يعيش تلك العذراء في كنفه ، ويحفظها في عفتها ، ويحتمل
أن تحبل من الروح القدس ، ويقبل الفكرة ، ويحمي الفتاة ،
ويعيش كأنه أب لابنها في نظر المجتمع ...

**وكان ينبغي الانتظار حتى يولد الملاك الذي يعد الطريق
قدام ملك الملوك ، أعني يوحنا المعمدان ذا الشخصية الجبارة
والتأثير العميق . الذي يستطيع أن يقول « في وسطكم قائم
الذي لستم تعرفونه ، هو الذي يأتي بعدى ، الذي صار
قدامى ، الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه ،
(يو ١ : ٢٧) » ينبغي أن ذاك يزيد ، واني أنا أنقص . الذي
يأتي من فوق ، هو فوق الجميع . الذي يأتي من السماء هو
فوق الجميع ... » (يو ٣ : ٣٠ ، ٣١) .**

**لعل أحدا يسأل : ولماذا لم يوجد الله كل هؤلاء منذ
زمن ؟ نجيب بأن الله لا يرغم البشر على البر والقناعة . انه
ينتظر حتى توجد الآنية المستعدة بكامل ارادتها ...**

هناك أسباب عديدة جدا توضح شيئا من حكمة الرب في
الانتظار حتى يأتي ملء الزمان . أوضحها هو اعداد العوالم
كله وتهيئته لقبول فكرة التجسد وفكرة الفداء ...

وأخيرا ، عندما كمل كل شيء « لما جاء ملء الزمان ،
ارسل الله ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس ، ليفتدى
الذين تحت الناموس ، لننال التبني » (غل ٤ : ٤ ر ٥) .

عَمَّا نُوثِيلُ الذى تفسيره « الله معنا »

« هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون
اسمه عما نوثيل الذى تفسيره الله معنا »
(متى ١ : ٢٣)

« ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه
عما نوثيل »
(اش ٧ : ١٤)

الله معنا :

جميل هذا الاسم الذى دعى به السيد المسيح فى مولده ،
عمانوئيل ، الله معنا . اسم فيه الكثير من التعزية ، اذ فيه
الكثير من حب الله لنا .

ان بركة عيد الميلاد هى هذه : ان نشعر ان المسيح هو
الله معنا ، الله فى وسطنا ، ساكن معنا ، وساكن فينا .

الله فى الحقيقة يحب البشر جدا ، مسرته فى بنى البشر .
يحب ان يهب الانسان لذة الوجود معه ، ويحب قلب الانسان
كمكان لسكناء .

منذ ان خلق الانسان ، خلقه على صورته ومثاله . و اراد
ان يجعله موضعا لسكناء ، اراد ان يسكن فى قلب الانسان
ويحل فيه .

ومرت آلاف السنوات ، والهنا الصالح يحاول ان يجد له
موضعا فى الانسان ، ومكانا يكون اهلا لسكناء . ولكن
الجميع كانوا قد زاغوا وفسدوا ، ليس من يعمل صلاحا ليس
ولا واحد . . . لم يجد الرب فى قلوبهم موضعا يسند فيه
رأسه . . . فماذا عنك أنت أيها المبارك ؟

ان الله ينظر الى قلبك ويقول « هذا هو موضع راحتى

الى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنى اشبهته » (مز ١٣٢ : ١٤) .
وعكدا وال ليرى ، ان الرب اختار صهيون • اشنتهاها
موصعا له » (مر ١٣٢ : ١٣) • وصهيون هذه هى نفسك
الذى يطلبها الله ، هى قلبك الذى يحب الرب أن يسكن فيه

مسكن الله مع الناس :

ان سكنى الله مع الناس وفى وسطهم ، هى قصة قديمة •
انها قصة خيمة الاجتماع ، التى فيها نرى الله يسكن وسط
شعبه • أو هى قصة تابوت العهد ، رمز حول الله بين الناس •

وكما أن سكنى الله مع الناس دلالة خيمة الاجتماع • هى
ايضا دلالة اورشليم السمائية فى الأبدية ، التى قيل عنها
« هو ذا مسكن الله مع الناس • وهو سيسكن معهم • وهم
يكونون له شعبا • والله نفسه يكون معهم ، الهام لهم »
(رؤ ٢١ : ٣) •

و قد وصح هذا المعنى بتشبيه أقوى فى حده :

قال انه ارأس ونحن الأعصاء ، وقال الرسول عذا
ككيسة انا « حسد المسيح » • ولعل من هذا التشبيه هو
ما قصده الرب بقوله « أنا الكرمة وأنتم الأعصان »
(يو ١٥ ، ٥) • وطلب ما أن تثبت فيه كما تثبت الأعصان
فى الكرمة • ولعل هذا أيضا هو جزء من الصلاة الطويلة التى
صلاها فى بستان جنسمانى ، حيث قال عن تلاميذه
« أنا فيهم » وأنت فى ، ليكونوا مكملين الى واحد ...

عرفتهم اسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني
به ، **واكون أنا فيهم** ، (يو ١٧ : ٢٣ ، ٢٦) • ان الله
يريدك أن تثبت فيه وهو فيك •

الله الذي حل في بطن العذراء لكي يأخذ منها جسدا ،
يريد أن يحل في أحشائك لكي يملك حبا ••• ان أفضل
مسكن لله هو فيك • الله لا يسر بالسماء مسكنا له ، بل هو
واقف على بابك يفرع لكي تفتح له (رؤ ٣ : ٢) • وهو
يعتبر جسدا هيكلا لروحه القدوس يسكن روح الله فيه
(اكو ٣ : ١٦) • وهو يريد أن يأبى اليك ليقيم فيك مع
الآب • انظر ماذا يقول « ان أحبني أحد يحفظ كلامي ،
ويحبه أبى ، واليه نأتى وعنده نصنع منزلا » (يو ١٤ : ٢٣)

الله الذي يصر في الحاح أن يسكن فيك ، يحاطب نفسك
الحبيبة اليه بتلك العبارات المؤثرة « امحى لى يا اختى
يا حمامتى يا كاملتى ، فان رأسى قد امتلأ من الطل ، وفصصى
من ندى الليل » (نش ٥ : ٢) • تصور ان الله واقف طول
هذه المدة يفرع على بابك محتملا من أجلك الطل وندى الليل •

سماؤه الحقيقية هي قلبك ، لذلك يطلب اليك على الدوام
قائلا « يا ابنى اعطني قلبك » ••• (أم ٢٣ : ٢٦) •

انه يقول لكل نفس بشرية ما قاله المرتل فى المزمور
« اسمعى يا ابنتى وانظرى واميلى سمعك ، وانسى شعبك
وبيت أبيك ، فان الملك قد اسمى جسمك ، لانه هو ربك »
(مز ٤٥ : ١٠ ، ١١) •

ان عبارة « الله معنا » لم يقصد بها ان يكون عمانوئيل معنا في فترة تجسده فقط ، وانما على الدوام .

وهكذا يقول الرب : ها انا معكم كل الايام والى انقضاء الدهر ، (متى ٢٨ : ٢٠) . ويقول أيضا « ان اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي ، همناك اكون في وسطهم » (متى ١٨ : ٢٠) . ويظل الرب معنا في الأبدية التي لا تنهى . وعن هذا الأمر قال للآب « أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي ، حيث اكون أنا » (يو ١٧ : ٢٤) . وقد طمأننا من جهة هذا الأمر فقال « وان مضيت وأعددت لكم مكانا ، آتي أيضا وأخذكم الى ، حتى حيث اكون أنا يكونون أنتم أيضا » (يو ١٤ : ٣) . وهكذا قال يوحنا الراهب عن اورشليم السمائية انها « مسكن الله مع الناس » (رؤ ٢١ : ٣)

هل الى هذا الحد يارب ؟ نعم . أنا أريد أن أسكن معكم ، وأحل فيكم . أجد لدة في عشرينكم وفي صداقتكم . أحب أن اكون في وسطكم . . . أنا عمانوئيل ، الله معكم . . .

ان بركة عيد الميلاد تركز في عبارة (عمانوئيل) . الله معنا . فان كنت يا أخي تحس أنك مع الله ، والله معك ، تكون قد تمتعت فعلا ببركة عيد الميلاد . . . لا نظن أن عيد الميلاد هو اليوم الذي انتهيا فيه من الصوم وبدأنا نفطر !! أو أن عيد الميلاد هو اليوم الذي عملنا فيه قداس العيد بطقوسه والحنانه الفرائحي . . . عيد الميلاد من الناحية الروحية هو عشرة عمانوئيل ، الذي هو الله معنا . . .

ان الله لا يريد منك شيئاً غير قلبك ليسكن فيه ...
اوعى تفكر ان ربنا عايز منك غير كده !! أبدا ،
صديقنى . تقول له يارب ، سأعطى كل أموالى للمفقرات ،
يقول لك يا حبيبى أنا عايز قلبك ، عايز أسكن جواك .
تقول له يارب ها أصوم وأبطل كل حاجه ، يقول لك أنا عايز
قلبك ... تقول له : أنا ها أصلى طول الليل ، يقول لك .
ان صليت طول الليل ، ولم تعطنى قلبك ، فلا فائدة من
صلاتك .

كل عبادتك وصلواتك هى مجرد عبادة خارجية ، ان لم
يكن لله مسكن داخل قلبك .

● الله يريد ان يقيم صداقة معك . يقول الكتاب « وسار
اخذوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أحده » (تك ٥ : ٢٤) .
منظر حميل أن نتحيل اخذوخ وهو سائر مع الله . وشعور
عميق أن ندرك كيف ان الله لم يمكنه الاستغناء عن نوح ،
فأخذه اليه ...

ان بولس الرسول يشرح معنى الرب السانى على
السحاب ، واختطافنا اليه ، فيختم هذا المشهد الحميل بقوله
« وهكذا نكون كل حين مع الرب » لذلك عزوا بعضكم
بعضاً بهذا الكلام « (اتس ٤ : ١٧ ، ١٨) » .

وهنا على الأرض نلمح ملاحظة قوية فى حياة القديسين ...
وهى ان القديسين كانوا يشعرون دائماً بوجودهم فى حضرة
الله . كانوا يرونه معهم على النوام ، أمامهم وعن يمينهم ...

انها عبارة متكررة على فم اداليا النبي اذ يقول « حى هو
رب الجنود الذى انا واقف امامه » (امل ١٨ - ١٥) . من
فيينا شعر باستمرار أنه واقف امام عمانوئيل الذى هو
الله معنا ؟ . . .

داود أيضا كان يحس على الدوام بوجود الله معه اذ يقول
« رأيت الرب امامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أنزعزع »
(مز ١٦ : ٨) . ما هذا يا داود ؟ هل الرب امامك أم عن
يمينك ؟ هو معى فى كل حين وفى كل موضع ، وفى كل
اتجاه أشعر بوجود الله . . .

● **ان الشخص الذى يشعر بان الله امامه ، لا يمكن أن
يخطئ ، ، سيخجل حتما من الله .** ويقول « هو ذا الله يرانى
وأنا أعمل ، هو ذا الله يسمعنى وأنا أنكلم » . الله له عيان
كبهيب نار تخترقان الطلام . فلو اننا شعرنا ان الله كائن
معنا ، لكان من المستحيل علينا أن نخطئ . ان خطابنا
دليل على اننا غير شاعرين بوجوده معنا .

**هناك حادثة حدثت مع القديس مار افرام السريانى
ثبتت هذا الامر .** فى احدى المرات هدته امرأه ساقطة أن
تشهر به ان لم يطاوعها ويعمل الشر معها . فتظاهر بالموافقة
على شرط أن يحدث ذلك فى سوق المدينة . فابدهشت المرأة
وقالت له « كيف نعمل هذا فى السوق ؟! ألا تستحي من
الناس وهم حولنا ؟! » فأجابها القديس « ان كنت تستحين
من الناس ، أفما تستحين من الله الذى عيناه تخترقان أستار

الظلام !؟ ، ، وكان لكلام القديس تأثيره العميق فى المرأة فتأثرت على يديه .

هل تعلم يا اخى ان الملحددين فقط هم الذين ينكرون وجود الله ؟! اؤكد لك أنك فى كل خطية ترتكبها تكون قد نسيت وجود الله . أو أنككرته عمليا . لو كنت مؤمنا فعلا بوجوده أملك ، أحببت وخشيت ... ان بعمانوئيل - الله معنا - يعطينا الطهارة والنقاوة والقداسة ، على الدوام .

● واحساننا بوجود عمانوئيل ، الله معنا ، يعطينا الشجاعة وعدم الخوف .

لما بدأ يسوع خدمته ، قال له الرب : لا يقف انسان فى وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك ، لا أملك ولا أتركك ... تشدد وتشجع ، لا تهرب ولا ترتعب ، لأن الرب الهك معك حيثما تذهب » (يش ١ : ٥ ، ٩)

الانسان الذى يشعر بوجود الله ، يشعر بقوة عظيمة معه ، تزيد منه كل خوف وكل اضطراب ، وتهب الثقة والاطمئنان ... واحد يسألك سؤالاً محرجاً ، فتخاف ، وتكذب ! لماذا ؟ لأنك خائف ؟ ولماذا تخاف ؟ الله معك ؟ لا يقف انسان فى وجهك كل أيام حياتك ...

خطية الخوف هى خطية عدم ايمانه ، عدم ايمان بعمانوئيل ووعايته . كان داود شجاعاً . وكان يقول « الرب نورى وخلصى من أخاف ... » وان نزل على جيش فلن

يخاف قلبى ، وان قام على قتال ففى هذا أنا مطمئن ،
(مز ٢٧ : ١ ، ٣) . « الرب عونى فلا أخشى ، ماذا يصنع بى
الانسان ؟ » (مز ١١ : ٦) . وفى هذه العبارات تلمح
الفرق بين شجاعة القديسين وشجاعة أهل العالم . شجاعة
أهل العالم سببها ثقتهم بقوتهم الخاصة ، وشجاعة القديسين
سببها ثقتهم بوجود عمانوئيل ، الله معهم .

ظهر الله لبولس الرسول فى رؤيا بالليل وقال له
« لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت ، لانى انا معك . ولا ينج
بك احد ليؤذيك » (أع ١٨ : ١٠) .

بولس أخذ هذا العبارة ، وعاش بها ، متملئا من الايمان
قوة . . . وقف قدام ليسياس الأمير ، وفيلكس الوالى ، وأمام
العزير فستوس وأعريباس الملك . ولم يستطع أحد منهم أن
يؤذيه . بل على العكس خافوا منه . لماذا خفتهم أيها الملوك
والأمراء من هذا الأسير المقيّد بالسلاسل ؟ يجيبون : لم نخف
منه ، وانما من الاله الذى معه ، من الرب الساكن فيه . . .
بولس هذا فى شخصه نستطيع ان نقدر عليه . ولكن لا نقدر
عليه عندما يقول « احيا لا انا ، بل المسيح الذى يحيا فى »
(غل ٢ : ٢٠) .

قبض ليسياس الأمير على بولس ، فماذا فعل به ؟ هل
آذاه فى شيء ؟ كلا . بل أعد قوة مسلحة تتكون من ٢٠٠
عسكري ، و ٧٠ فارسا ، و ٢٠٠ رامي ، فأركبت بولس ،
وأوصلته مسالما الى فيلكس الوالى بقيصرية . . .
(أع ٢٣ : ٢٣ ، ٢٤) صحيح يارب ، أنت معنا .

ووقف بولس أمام فيلكس • وبينما كان يتكلم عن البر
والعفف والديونة العتيدة أن يكون ، ارتعب فيلكس •••
(أع ٢٤ : ٢٥) •

ارتعب الوالى من أسيره المقيد ، من القوة العجيبة التى
تخرج منه ، من الله الذى معه ، من عمانوئيل •••

ووقف بولس أمام الملك أغريباس ، فكانت النتيجة أن
قال له الملك « بهليل بقنعنى أن أصير مسيحياً » (ع ٢٦ : ٢٨) •
وشهد عنه فائلا ، أن هذا الاسم ليس يعمل شيئا يسمحق
الموت أو القيود • •

هذه فكرة عن عمل عمانوئيل انهما ، عندما يكون معنا ،
ويحطم كل قوة تقب أمام عبيده ، فلا يفع بهم أحد ليؤذيهم •

هذا هو عمانوئيل الذى كان مع الثلاثة فتية فى أتون النار
• فلم يكن النار قوة على أحدا منهم • وسعرة من رؤوسهم لم
تخنق ، وسراويلهم لم تسعر ، وزائحة النار لم تأت عليهم •
(وا ٣ : ٢٧) ، حتى انذهل ببوحد نصر فائلا • ليس اله
آخر يستطيع أن ينجى هكذا •••



رُضَالِحَةُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

اول شىء نتذكره فى ميلاد الرب هو عمق محبته للناس .
فمن أجل محبته لهم سعى لخلاصهم • ومن أجل محبته لهم
أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، ونزل من السماء ، وتجسد
وصار فى الهيئة كإنسان (فى ٢ : ٧ ، ٨)

ان التجسد والفداء ، أساسهما محبة الله للناس ،
فهو من أجل محبته لنا ، جاء إلينا • ومن أجل محبته لنا ،
مات عنا • لهذا يقول الكتاب • هكذا أحب الله العالم ، حتى
بذل ابنه الوحيد ••• (يوحنا ٣ : ١٦) • انظروا ماذا يقول
« هكذا أحب ••• حتى بذل » • نحن اذن فى تجسده ،
نذكر محبته التى دفعته الى التجسد • واعترافا منا بهذه
المحبة ، نتغنى بها فى بدء كل يوم ، اذ نقول للرب فى صلاة
باكر • أتيت الى العالم بمحبتك للبشر ، وكل الخليقة تهلت
بمجيئك •••

**قبل ميلاد السيد المسيح ، كانت هناك خصومة بين الله
والناس • فجاء المسيح لكى يصلحنا مع الله ، أو جاء لكى
نصلح معه • قبل مجيئه كانت هناك خصومة بين السماء
والأرض • ومرت فترة طويلة كانت فيها شبه قطيعة بين
السمايين والأرضيين : لا رؤى ، ولا أحلام مقدسة ، ولا
أنبياء ، ولا كلام من الله للناس ، ولا ظهورات مقدسة ••• ولا**

أية صلة واضحة ... !! كانت الأرض بعيدة عن السماء طوال تلك الفترة ...

كانت خطايا الناس كلياى الشتاء : باردة ومظلمة وطويلة.

وكانت تحجب وجه الله عنهم . وكانت الحصومة بينهم وبين الله ، يمثلها فى الهيكل الحاجز المتوسط الذى لا يستطيع أحد من الشعب أن يجتازه الى قدس الأقداس ... وزادت خطايا الناس ، واحتدم غضب الله عليهم ، واستمرت القطيعة . ولم يحاول البشر أن يصطلحوا مع الله .

ثم جاء السيد المسيح ، فقام صلحا بين السماء والأرض، وارجع الصلة بينهما . وبدأت تبشير الصلح تظهر . ورجعت العلاقات كما كانت من قبل وأكثر ...

ولكى أوضح الأمر لكم أقول : تصوروا أن دولتين متخاصمتين ، قد رجع الصلح بينهما ، فماذا تكون النتيجة : طبعا ترجع العلاقات كما كانت : يعود التمثيل السياسى بينهما ، وارسال السفراء والقناصل ... وفى ظل المودة الجديدة تبرم اتفاقية اقتصادية ، اتفاقية ثقافية ، اتفاقية عسكرية ... المهم أنه توجد علاقة وصلة . كذلك لنفرض أن شخصين متخاصمين قد اصطلحا ، فى ظل الصلح نرى العلاقات قد بدأت ترجع ، تعود التحيات والابتسامات والزيارات والأحاديث ، وتعود المودة ... هكذا حدث بين السماء والأرض . وبدأت تبشير الصلح تظهر بمجىء المسيح الى الأرض او فى خطوات ومبهدات مجيئه ...

تبشير الصلح

وأول شيء شاهدناه من تبشير هذا الصلح هو كثرة نزول الملائكة الى الأرض . فى مجيء المسيح وقبيل مجيئه ازداد ظهور الملائكة بشكل واضح . ظهورات متوالية ، فردية وجماعية ، كسفراء للرب . تهلل الملائكة بفرح عظيم، وأرادوا أن يشتركوا فى هذا الحدث العجيب وهو تجسد الرب وميلاده فظهر ملاك يبشر زكريا بولادة يوحنا (لو ١ : ١١) ، وملاك يبشر العذراء بولادة المسيح (لو ١ : ٢٦) ، وملاك ظهر ليوسف فى حلم يخبره بحبل العذراء (متى ١ : ٢٠) . وملاك ظهر للرعاة يبشرهم بالميلاد الالهى (لو ٢ : ٩) ، وملاك ظهر ليوسف فى حلم وأمره أن يهرب بالطفل يسوع وأمه الى مصر (متى ٢ : ١٣) . بالإضافة الى هذا جمهور الملائكة الذين ظهروا مسبحين الله وقائلين « المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » (لو ١٢ : ٢٣ و ١٤) . ان ظهور الملائكة بهذه الكثرة ، يدل على أن العلاقات بدأت ترجع بين السماء والأرض ، وتدل على فرح الملائكة بالخلاص المزمع ، واشتراكهم مع الأرضيين فى هذا الفرح .

وظهور الملائكة فى فترة الميلاد كان مجرد طلائع للملائكة الذين ملأوا العهد الجديد . . . ملائكة كانوا يخدمون الرب على جبل التجربة (مر ١ : ١٣) ، وملائكة القيامة الذين ظهروا للنسوة ، ومثل الملاكين اللذين طمانا الرسل وقت صعود

الرب (أع ١ : ١٠) . . . كان هؤلاء جميعا طلائع نعرف بهم
الملائكة غير المرئيين المحيطين بنا الآن ، الذين قال عنهم القديس
بولس الرسول « أليس جميعهم أرواحا خادمة ، مرسلة للخدمة
لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) .

**ولم تكف السماء في صلاحها مع الأرض بظهور الملائكة ،
بل امتدت الى الأحلام المقدسة بما فيها من توجهه ومن اعلان .**

اجتمع الأهران معا بالنسبة ليوسف الصديق . ملاك ظهر
له في حلم يجبره بالحبل المقدس (متى ١ : ٢٠) . وملاك ظهر
له في حلم يأمره بالذهاب الى مصر (متى ٢ : ١٣) . ثم
بعد ذلك ظهر له ملاك في حلم في أرض مصر يأمره أن يرجع
الى بلده لانه « قد مات الذين كانوا يطمنون نفس لصبى »
(متى ٢ : ٢٠) . ولما خاف أن يذهب الى اليهودية بسبب أن
ارخيلاوس كان يملك هناك ، « أوحي اليه في حلم » أن يصرف
الى نواحي الحليل ، وذهب وسكن في الناصرة (متى ٢ : ٢٢) .

**هؤلاء الملائكة الذين ظهروا ليوسف الصديق في الأحلام،
يعطوننا فكرة عن سمو مكانة العذراء . بالعذراء ظهر لها
الملائكة عيانا في صحوها . رأيتهم بعينها وسمعتهم بأذنيها ،
أما يوسف الصديق فرأى وسمع في الأحلام . ان هذا يذكرنا
بالمرق الكبير بن مركز موسى النبي ومركز هارون ومريم ،
الذين وبخهما الرب عندما تقولا على موسى ، فقال لهما « ان
كان منكم نبي للرب ، فبالرؤيا استعلن له ، في الحلم أكلمه .**

وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي . فما
إلى فم وعيانا أتكلم معه ، (عدد ١٢ : ٦-٨) .

لقد كلم الملائكة يوسف الصديق عن طريق الأحلام .
وهكذا حدث أيضا مع المجوس ، بعد أن رأوا الطفل يسوع ،
وقدموا له هداياهم « أوحى اليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى
هيرودس ، فابصرفوا إلى كورثتهم (متى ٢ : ١٢) .

وحديث المجوس يذكرنا بظهورات مقدسة أخرى صاحبت
حدث الميلاد ، ونقصد أولا النجم الذي ظهر للمجوس ،
وارشدهم إلى مكان المزود المقدس (متى ٢ : ١-١٢) . لم يكن
ذلك النجم نجما عاديا - كما شرح القديس يوحنا ذهبي الفم -
بل كان قوة الهية أرشدتهم . ذلك أن مساره كان غير عادي،
من الشرق إلى الغرب . وكان يظهر حيناً ، ويختفي حيناً
آخر ، ويقف حيناً ثالث . كذلك ارشاده لمكان المزود معناه
أنه هبط من علوه هبوطاً يوضح المكان وبخاصة لأن الكتاب
يقول عنه انه « وقف حيث كان الصبي » . هذا النجم كان
ظهوراً مقدساً ولم يكن نجماً كباقي النجوم

وفي صلح السماء مع الأرض الذي جلبته بركة الميلاد لم
تقتصر الصلة على ظهور الملائكة والأحلام المقدسة والظهورات
المقدسة ، بل أيضاً رجعت روح النبوة مرة أخرى ، ورجع
عمل الروح القدس في الناس وامتلاؤهم منه .

نقرأ عن يوحنا المعمدان في بشارة الملاك عنه انه « من
بطن أمه يمتلئ من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) . ونقرأ في
بشارة الملاك للعذراء قوله لها « الروح القدس يحل عليك ،
وقوة العلي تظلك » (لو ١ : ٣٥) . ونقرأ في زيارة العذراء
مريم للقديسة اليصابات انه لما سمعت اليصابات سلام
مريم ، ارتكض الجنين في بطنها ، وامتلات اليصابات من الروح
القدس ، (لو ١ : ٤١) . ونقرأ عن زكريا الكاهن - بعد
انقضاء فترة صمته - « وامتلا زكريا أبوه من الروح القدس
وتنبأ قائلا . . . » (لو ١ : ٦٧) . نقرأ أيضا عن سمعان
الشيخ انه كان رجلا بارا « والروح القدس كان عليه وكان
قد أوحى اليه بالروح القدس . . . » (لو ٢ : ٢٥ ، ٢٦) .

**عجيب جدا هذا العمل الواسع للروح القدس في الناس
في تلك الفترة المقدسة . وعجيب هذا الامتلاء من الروح
القدس وهذا الحلول ، وهذا التنبؤ أيضا . . .** لقد تنبأ زكريا
الكاهن ، وتنبأت امرأته اليصابات ، وتنبأ سمعان الشيخ ،
وتنبأت حنة بنت فنوئيل (لو ٢ : ٣٦) . وبدأ أن الله رجع
يتكلم في أفواه الأنبياء . . . وكل ذلك كان من بؤادر انتهاء
الحصرمة بميلاد المسيح ، أو كانت هذه هي تباشير الصلح
الذي تم على الصليب .

**وكان من تباشير الصلح أيضا رجوع المعجزات .
والمعجزات دليل عمل يد الله مع الناس . . .** كان انفتاح رحم
اليصابات العاقر هو المعجزة الأولى . وكان صمت زكريا

الكاهن ثم انفتاح فيه بعد تسعة أشهر معجزتين أخريين .
 وكانت معجزة المعجزات هي ولادة السيد المسيح من عذراء .
 وكان ارتكاض الجنين بابتهاج في بطن اليصابات تحية للجنين
 الاله الذي في بطن العذراء هو معجزة أخرى . ولا نستطيع
 أن نحصى المعجزات التي رافقت ميلاد المسيح وطفولته . أما
 معجزاته في أرض مصر، فلعل أبرزها هو ما يشير اليه اشعيا
 النبي قائلا « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم الى
 مصر . فترتجف أوثان مصر من وجهه ، وينوب قلب مصر
 داخلها » (أش ١٩ : ١) . وفعلًا سقطت أوثان مصر بدخول
 الرب اليها ...

كل هذا يدل على أن يد الرب قد بدأت تعمل ، وإن ميلاد
 المسيح كان مقدمة لصلح السماء مع الأرض ، الصلح الذي
 قلنا ان أولى تباشيره كان ظهور الملائكة . ويحسن أن نقف
 وقفة تأمل بسيطة عند ظهورات الملائكة هذه ...

■ **أول ملاك ظهر وذكره الانجيل المقدس ، كان هو الملاك**
 الذي ظهر لزكريا الكاهن . انها لفظة كريمة من الرب يعطى
 بها كرامة للكهنوت ، فيكون ظهور الملائكة أولا للكهنة ، بعد
 فترة الاحتجاب الطويلة . ولفظة كريمة أخرى للكهنوت ، أن
 يظهر الملاك في مكان مقدس « واقفا عن يمين مذبح البخور » ،
 وفي لحظة مقدسة عندما كان زكريا البار يكهن للرب ويرفع
 البخور أمامه (لو ١ : ٨-١٠) ...

جميل من الرب أنه عندما أرسل خدامه السمايين ،
أرسلهم أولا الى بيته المقدس والى خدام مذبحه الطاهر .
ولا شك أن هذا كله يشعرونا بجمال المذبح الذى وقف الملاك
عن يمينه فى أول تبشير الصلح . كم بالاكتر جدا مذبح العهد
الجديد فى قدسيته الفائقة للحد ، حيث ملاك الذبيحة الصاعد
الى العلو يحمل الى الله تضرعنا ...

نعود الى الملاك الطاهر الذى ظهر لزكريا الكاهن ...

كان ملاكا يحمل بشارة مفرحة . لقد عاد الرب يفرح وجه
الأرض التى حرمت كثيرا من افراحه فى فترة القطيعة والخصومة .
وهل هناك فرح أعظم من تبشير زوج العاقر بأنها ستلد ابنا
« لم يقم بين المولودين من النساء من هو أعظم منه » (متى
١١ : ١١) ، ابنا سيكون « عظيما أمام الرب » (لو ١ : ١٥) !!
عبارات « الفرح » تدفقت من فم الملاك ، فقال « لا تخف
يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت ، وامراتك اليصابات ستلد
لك ابنا ، وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح ، وابتهاج ،
وكثيرون سيفرحون بولادته » .

وكانت ايعاءة جميلة من الرب فى تبشير هذا الصلح ،
أن يسمى الطفل « يوحنا » ... وكلمة يوحنا معناها « الله
حنان » !!

وكان الله يقصد أنه وان تركنا زمنا ، الا أن محبته دائمة
الى الأبد ، « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئها » (نش ٨ : ٧) .
وأنه وان حجب وجهه حيننا ، فإنه لا يحجب قلبه الحنون .

فعلى الرغم من فجرة القطبنة بين السماء والأرض التى سبقت
 ميلاد المسيح ، وعلى الرغم من الخصومة الفائقة ، كان الله
 ما يزال كما هو ، كله حنان وشفقة . . . « الله حنان » أو « الله
 حنون » . لعل هذا يذكرنا بقول الرب من قبل « لأنه كما راه
 مهجورة ومجزونة الروح دعاك الرب . وكروحة الصبا . . .
 لحبطة تركتك ، وبمراحم عظيمة ساجمعتك . بفيضان الغضب
 حجبت وجهى عنك لحظة . وباحسان أبدي أرحمك . . . »
 (أش ٥٤ : ٦-٨)

انها نبوة أشعيا عن مصالحة الرب لشعبه وكنيسته ،
 قد بدأت تتحقق . . . تلك النبوة العجيبة ، الجميلة فى
 موسيقاها ، التى بدأها الرب بنشيد العذب « ترنمى أيتها
 العاقر التى لم تلد . . . » (أش ٥٤ : ١) . ترى أكانت
 اليصابات « العاقر التى لم تلد » رمزا لكنيسة فى افتقاد
 الرب لها ؟ وهل كان اسم ابنها يوحنا « الله حنان » رمزا
 أيضا لمصالحة الله لكنيسته ؟ وهل ترنم اليصابات « العاقر
 التى لم تلد » كان بشيرا بتحقيق باقى مواعيد الله اذ يقول
 لكنيسته فى نفس النشيد :

« كما خلعت أن لا تعبر بحد مياه يوح على الأرض ، هكذا
 خلعت أن لا أعضب عليك ولا أزجرك . فان الجبال تنزل ،
 والآكام سزعزع . أما احسانى فلا يزول عنك ، وعهد سلامى
 لا يتزعزع ، قال راحمك الرب » .

« أيتها الدليلة المضطربة غير المعروفة . هاأذا أبنى بالائتم

هيجارتك ، وبالياقوت الأزرق أوُسُسك • وأجعل شرفاتك
ياقوتًا ، وأبوابك حجارة بهرمانية ، وكل تخومك حجارة
كريمة • وأجعل كل بنيك تلاميذ للرب ، وسلام بنيك كثيرًا
(أش ٥٤ : ٦-١٣)

هل كان هذا الاصطاح الرابع والخمسون من نبوءة اشعيا
موضع تأمل القديسة اليصابات في خلاص الرب القريب، طوال
الستة أشهر التي مرت ما بين بشارة الملاك لزكريا وبشارة
الملاك للعذراء ؟ ان هذه الفكرة تملأ قلبي ، وتضغط على عقلي
بالخاح شديد ... ولا شك أن هذه القديسة الشبيخة التي
كانت تحمل ابنا نذيرا للرب في أحشائها ، كانت تشعر أنه
ليس بأمر عادي هذا الذي حدث لها • واذ تتأمل في هذا
الفصل من اشعيا - الذي ينطبق عليها وعلى الكنيسة - يهز
كيانها كله هذا « النبي الانجيلي » اذ يقول « ها العذراء تحبل
وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٤) •

قلنا انه من تبشير الصلح بين السماء والأرض كان ظهور
الملائكة للبشر • وكان الملاك الأول هو الذي بشر زكريا الكاهن

■ اما الملاك الثاني ، فكان جبرائيل ، الذي بشر السيدة
العذراء •

نلاحظ أن هذا الملاك كان له مع العذراء أسلوب معين •
لقد بدأها بالتحية ، بأسلوب كله توقير واحترام لها • في
بشارة زكريا لم يبدأه الملاك بالتحية ، وإنما قال له « لا تخف

يا زكريا فان طلبتك قد سمعت . . اما في إشارة العذراء
 فقال لها الملاك « السلام لك أنتي المملئة نعمة . الرب معك . »
 وعمدّد - بعد هذه المقدمة - بدأ الملاك في اعلان رسالته .
 وحتى هذه الرسالة أدمجها بعبارة مديح أخرى فقال « لا تخافى
 يا مريم ، لأبك قد وجدت نعمة عند الله » ثم بعد ذلك بشرها
 بالخبر الذى جاء من أجله « ها أنت ستحملين وتلدن ابنا
 وتسمينه يسوع . . . » .

**انه أسلوب احترام عجيب يليق بالتحدث مع والدة الاله
 المجدلة ، الملكة الجالسة عن يمين الملك .**

لم يستطع رئيس الملائكة جبرائيل أن سسى أنه واقف أمام
 أقدس امرأة فى الوجود ، وأنه واقف أمام أم سيده ، التى
 ستكون سماء ناية لله الكلمة . فحاطبها بأسلوب عذ الذى
 خوطب به الكاهن البار زكريا . . .

هنا نلاحظ أنه لم يبدأ فقط صبح بين السمايين
 والأرضيين ، بل بدأ تقدير وتوفر من سكان السماء لسكان
 الأرض فى شخص أما وسيدتما العذراء مريم . . . فمرحما
 بهذا الصلح .

■ **أما الظهور الثالث ، فكان ظهور ملاك الرب للرعاة .**

هنا نجد نقدا ملبوسا فى العلاقات ، اذ لم يقتصر الأمر
 على أن « ملاك الرب وقف بهم » بل يقول الكتاب أكثر من هذا
 « ومجد الرب . . أضاء حولهم » . وبعد أن بشرهم الملاك

« بفرح عظيم ، يكون « لجميع الشعب » ، وبولادة « مخلص » ،
« ظهر بفتة - مع الملاك - جمهور من الجند السماوي مسبحين
الله وقائلين : « المجد لله فى الأعالي ، وعلى الأرض السلام ،
وبالناس المسرة » .

وهنا نسمع عبارات الفرح ، والمبشرة ، والسلام ، والخلاص
... وبدلاً من ظهور ملاك واحد ، نرى جمهوراً من الجند
السماوي يسبحون .

إنها تبشير الصلح العظيم ، المزمع أن يتم على الصليب .
ونلاحظ أن هذا الصلح قد بدأه الله لا الناس .

الله يصالح البشرية

أول ما نتذكره فى هذا المجال ، هو أن الله يسعى لخلاص
الإنسان ، حتى لو كان الإنسان لا يسعى لخلاص نفسه .

نلاحظ هذا منذ البدء : عندما أخطأ آدم وسقط ، لم يسع
لخلاص نفسه ، بل نراه - على العكس من ذلك - قد هرب من
الله ، وخاف من الله ، واختفى من الله . لم يحدث أنه سعى إلى
الله ، طالباً الصفح والمغفرة ، طالباً النقاوة والطهارة . بل
أنه « لما سمع صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة ... » اختبأ
هو وامراته من وجه الرب (تك ٣ : ٨) . وهكذا أوجد
حجاباً وحاجزاً بينه وبين الله . وبدأت الخصومة .

من الذى يسعى لخلاص آدم ؟ انه الله نفسه ، دون ان يطلب آدم منه ذلك . آدم شغله الخوف عن الخلاص أو حتى عن مجرد التفكير فيه وهكذا بحث الله عن آدم ، وتحدث معه وأعطاه وعدا بأن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) .

لقد اعتبر الله أن المعركة الدائرة هي بينه وبين الشيطان ، وليست بين الشيطان والانسان . اعتبر أن قضيتنا هي قضيته هو . وإذا بنسل المرأة الذى يسحق رأس الحية هو الله نفسه الذى أتى فى ملء الزمان من نسل المرأة . هو الله اذن الذى دبر قصة الخلاص كلها ، لأنه « يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون » (١ تى ٢ : ٤) . هو يريد خلاصنا جميعا ويسعى اليه ، حتى ان كنا نحن - فى تكاسلنا أو فى شهواتنا - غافلين عن خلاص أنفسنا !

فى قصة الخروف الضال ، نرى أن هذا الخروف الضال لم يسع لخلاص نفسه ، وإنما ظل تائها وبعيدا . والراعى الصالح هو الذى جرى وراءه ، هو الذى فتش عليه وسعى اليه ، وهو الذى تعب من أحله الى أن وجده ، وحمله على منكبيه فرحا ، ورجع به سالما الى الحظيرة

وفى قصة الدرهم المفقود ، نجد نفس الوضع أيضا الله اذن هو الذى يسعى جاهدا لخلاص الانسان .

فإن تعطل خلاص الانسان ، يكون السبب بلا شك راجعا الى الانسان ذاته وليس الى الله .

وهذا الأمر واضح في تبيكت الرب لأورشليم ، اذ قال لها
« يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين
اليها • كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة
فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا » (متى ٢٣ : ٣٧) •••
أنا أردت ، وأنتم لم تريدوا •••

مثال آخر هو عروس النشيد • الله هو الذي سعى لخلاصها
« طافرا على الجبال ، وقافزا على التلال » • وقال لها « افتحي لي
يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي ، لأن رأسي قد امتلأ
من الطل وقصص من ندى الليل » (نش ٥ : ٢) • وتكاسلت
النفس في الاستجابة ، وتعللت بالأعذار • فماذا كانت
النتيجة ••• كانت انها عطلت عمل النعمة فيها بعض الوقت ،
وصاحت في ندم حبيبي تحول وعبر •••

تأكد أنك ان كنت تريد الخلاص من الخطية ، فإن الله يريد
لك ذلك أضعافا مضاعفة ••• المهم أنك تبدى رغبتك المقدسة
عنه • هناك عبارة لطيفة قالها أحد القديسين • قال « ان
الفضيلة تريدنا أن نريدها لا غير » • يكفي أن نريد ، ارادة
جادة ، والله يتولى الباقي • بل حتى هذه الارادة هو يمنحها
لنا ، لأجل خلاصنا •

ومن القصص العجيبة عن سعي الله لخلاصنا ، ما يقوله الله
- في سفر حزقيال النبي - للنفس الخاطئة الملوثة •••
« مررت بك ورأيتك مدمومة بدمك ••• وقد كنت عريانة
وعارية • فمررت بك ورأيتك واذا زمناك زمن الحب • فبسطت

ذيلي عليك . . . ودخلت معك في عهد - يقول السيد الرب -
وحمامتك بالماء ، وغسلت عنك دماءك ، ومسحتك بالزيت ،
والبسيتك مطرزة . . . وجمعت جدا جدا ، فصلحت لمملكة ،
(حز ١٦) .

تلك المعسر المسكينة - لو تركت لذاتها - لبقيت على
حالتها مطروحة وملونة ، عرابية وعاربة . ولكن الله فعل من
أجلها الكبير ، وأقذعها مما هي فيه . . .

ولكن ليس معنى سمى الله خلاصنا ، أننا نكل على ذلك
ونكسل ! كلا والافاه ينحوّل ويعبر كما حدث مع عروس
الشديد . إنما يجب أن نتحد ارادتنا بإرادته وعملنا بعمله .
هو ينزل الى عالمنا ، ونحن نقدم له ولو مزو - نستريح فيه . . .
إن الله سمى خلاصنا ، ويسمى ليصالحنا معه . عجيب
في هذه الصالحة ، أما ترى الصلح يبدأ من جانب الله ، أكثر
مما يبدأ من جانب البشر . . . انه درس لنا حينما تكبر قلوبنا
على اخوتنا الصغار ، فلا نسمى لمصالحهم بحجة أننا الكبار !!
بينما قد وضع لنا الله مثالا حسنا . .

الكبير - يسع - لمصالحة الصغير

في كل تبشير الصلح التي ذكرناها نرى أن الله هو
الساعى لمصالحة البشرية . النور الذي لا يدنى منه ، يسع
لمصالحة التراب والرماد ! ملك الملوك ورب الأرباب يتقدم

ليصالح عبيده ... نراه أنه هو الذى أرسل الملائكة للبشر
وهو الذى بعث اليهم برسائل فى الأحلام . وهو الذى أرجع
لهم روح النبوة ، وهو الذى عمل على إعادة الصلاقات كما
كانت من قبل ... بل هو الذى أرسل اليهم ابنه الوحيد
ليخلصهم ، من فرط محبته لهم .

**وكما قال القديس يعقوب السروجي : انه كانت هناك
خصومة بين الله والانسان . فلما لم يتقدم الانسان لمصالحة الله
نزل الله ليصالح الانسان .**

ولم يحدث هذا فى الميلاد فقط ، وإنما كان هو دأب الله
دائما . نراه وهو الكبير العالى غير المحدود يسمى لمصالحة
الانسان . يقول : أنا واقف على الباب وأقرع . من يفتح لى
أدخل وأتشى معه ، (رؤ ٣ : ٢٩) . ونحن نتساءل فى
عجب : كيف يارب تقف على الباب ، وتقرع . البشر هم الذين
يذهبون الى بابك ، ويقبلون أعتابك . ويطلبون رضاك ...
يقول الله : بل أنا الذى أذهب اليهم . أنا لست أبحث عن
كرامة لى ، وإنما أنا أبحث عن خلاصهم هم ، ولا يمكننى أن
أستريح حتى أطمئن على خلاصهم .

حقا ، ما أعجب قلب الله المحب ، وما أعجب تواضعه ...
الله يرسل الأنبياء والرسل لى يصالحوه مع البشر .
يعترف بولس الرسول بهذا فيقول : نسمى كسفراء عن
المسيح ، كأب الله يحفظ بنا ، نطلب عن المسيح : تصالحوا مع
الله ، (٢ كو ٥ : ٢٠) .

خفا : هل كان هناك عمل آخر للأنبياء سوى عقد صلح بين الله والناس . والله هو الذى طلب الصلح فأرسل أنبياءه بل ما أعجب الرب فى سعيه للصلح اذ يقول : « بسطت يدي طول النهار ، الى شعب معاند ومقاوم » (رو ١٠ : ٢١) . ورغم معاندة الشعب مازال الرب باسطة يده ، يطلب صلحا معنا بل ان الله يقول للناس « هلم نتحاحح » (أش ١ : ٢١) .

الله هو الذى صالح يونان النبي لما اغتم واغتاظ ، مع أن غضبه لم يكن حسب مشيئة الرب . أعد له يقطينة « فارتفعت فوق يونان لتكون ظلا على رأسه ، لكى يخلصه من غمه » وظل يجاذبه الحديث قائلا له « هل اغتظت بالصواب ؟ » ويونان يجيب « اغتظت بالصواب حتى الموت » . وهكذا لم يزل به حتى أقنعه وصالحه (يونان ٤) .

والسامرة التى أغلقت ابوابها فى وجهه ، لأن وجهه كان متجها نحو اورشليم ، لم يتضايق من تصرفها هذا ، ولم ينزل نارا من السماء ليحرقها كما اقترح التلميذان ، بل ذهب اليها مرة أخرى ليصالحها ، وهى المخطئة . وبذل من حبه ورعايته حتى أصلحها وصارت له (يو ٤) .

وفى قصة الابن الضال ، نرى ان الابن الكبير لما غضب ورفض أن يدخل ، ورفض أن يشترك فى الفرح برجوع أخيه ، مع ان غضبه لم يكن مقدسا ، ومع أن ارادته كانت ضد ارادة

الآب ، الا أن الآب ذهب اليه ليصلحه . وفى ذلك يقول الكتاب
« فخرج أبوه يتوسل اليه » (لو ١٥ : ٢٨) .

ومع ان كلام هذا الابن كان قاسيا فى حديثه مع أبيه، وكانت
اتهاماته كثيرة وظالمة ، الا ان الآب احتمله ، وأطال أناته عليه
حتى يصلحه . ولم يقل له كيف وأنت صغير تكلمنى هكذا !

**ولما اخطأ بطرس وانكر المسيح ، لم ينتظر الرب حتى
يأتى بطرس قائبا ومعتبرا ، بل هو الذى بداه بالكلام ، وسهل
الامر عليه ، وأرجع العلاقات كما كانت ، بنفس الدالة . . .**

ان الرب لا يرى فى سعيه للصلح انقاصا لقدره أو اضعافا
لكرامته ، بل على العكس انه يبرهن على محبته وعلى تواضعه
فيزداد حب الناس له .

**وان كان الله بميلاده قد جاء ليصلحنا ، فإذهب أنت
يا اخي وصالح غيرك . لا تقل كيف أذهب أنا ؟ هم الذين
يأتون . كلا ، فإن الذى يقوم بالصلح ، هو الذى ينال بركته
. . . ولا تقل كيف أصالح ابنى ، أو اخي الأصغر ، أو خادمي ،
أو مرؤوسى ، وأنا الكبير !؟**

اعرف تماما أن الكبير هو الكبير فى قلبه وفى حبه ، وهو
الكبير فى فضائله وفى احتماله . والله لا يقيس الناس بمقياس
السن أو المركز ، بل بنقاوة القلب .

ومهما كنت كبيرا ، فلن تكون مطلقا في درجة الله الذي
سعى لمصالحة عبيده ومخلوقاته ! وحاذر من أن تطلب احتراماً
يليق بك ، حتى لو كان يليق بك المجد والكرامة !! بل
اطلب محبة الناس وبركتهم . وفي ذكرى الميلاد تذكر تواضع
الرب الذي نزل من سمائه اليينا ، فكيف لا نتمازل بعضنا
لللبعض ...

وفي مصالحة الناس ، لا تفكر في خطية غيرك - كبيرا كان
أم صغيرا - وإنما فكر في نقاوة قلبك ، وضع أمامك تواضع
الرب في مصالحته للبشر .



دروس من حياة العذراء

انصاع العذراء

فى الحديث عن الميلاد البتولى المجيد ، لا نستطيع أن نتكلم عن المجوس وهيرودس والرعاة ... و نترك شخصية العذراء التى هى مصدر دسم عميق للتأملات الروحية . السيدة العذراء هى أظهر وأنهى وأقدس فتاة وجدت على سطح الأرض ، ولا يوجد لها شبيهه ...

لقد وعد الله الانسان بالخلاص ، وقال له ان نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية . ومرت آلاف من السنين الى أن تم هذا الخلاص . ولعل من أهم أسباب هذا الانتظار أن الرب كان ينتظر الفتاة القديسة الطاهرة التى يمكنه أن يحل فى أحشائها .

كان ملء الزمان ينتظر هذه الفتاة القديسة . آلاف من النساء وجدن على الأرض . كل واحدة منهن كانت تشتهى أن يولد منها المـ يسوع ، حتى أن العقم حسب فى ذلك الزمان عادا ... ولكن الرب لم يحل فى أحشاء أية واحدة من كل تلك الآلاف من النساء .

كان لابد من وجود فتاة من نوع معين ، تكون أهلا لأن

ياخذ الرب منها جسدا : يسكن في بطنها ، ويتغذى من دماؤها ، ثم يولد منها ويرضع من لبنها ، ويعيش في كنفها سنوات ... لم تكن أية فتاة تصلح لهذا الأمر . كان لابد من واحدة تتميز بصفات خاصة تؤهلها لهذا العمل العظيم ... وكانت العذراء مريم هي هذه الواحدة التي انتظرتها الأجيال الطويلة .

فما هي الصفات التي اهلتها لهذا المجد وهذه الطوبى ؟

كانت أول صفة تشترط فيها هي التواضع . فلماذا ؟
ما هي أهمية التواضع بالنسبة للدور العظيم الذي عهد به الى العذراء ؟

ان المسيح الهنا المتواضع ، كان لابد ان يختار فتاة متواضعة لكي يولد منها . ليس فقط من أجل جمال فضيلة التواضع ، وانما لأمن آخر أخطر من هذا بكثير ...

ذلك لأن الفتاة المتواضعة هي الوحيدة التي تستطيع ان تحتمل هذا المجد العظيم الذي به تدعى « والدة الإله » ...

حقا ، من هي التي تستطيع أن تحتمل هذا اللقب العظيم الذي لم يطلق على امرأة أخرى في الوجود ؟ من تحتمل الحمل الإلهي المقدس ، وتعلم أن الروح القدس يحل عليها ، وقوة المولى تظللها ، وتعلم أن القنوس المولود منها يدعى ابن الله ؟ من تحتمل هذا ؟ ومن يمكنها أن تحتمل أيضا ظهورات الملائكة ، وكثرة الرؤى والمعجزات والأعاجيب التي تصحب

وجود الله الكلمة فيها ومعها : ... هل أية فتاة أو امرأة
يمكنها أن تحتل كل هذا المجد ، وكل ما يقابلها من تطويب
ومديح ؟!

ان لم تكن فتاة متضعة ومنسحقة النفس من الداخل ،
فان كل تلك الكرامة لابد ان تهزها هزا وتتعبها . لذلك كان
لابد من فتاة لها من عمق الاتضاع ما يعادل علو تلك الكرامة.
وهنا يظهر سمو العذراء .

في العالم- نساء كثيرات لا يحتملن شيئا من المجد العالمى
مهما كان قافها ، فكم بالحري المجد الالهى أو المجد الروحى...
امرأة ان ظهرت نتيجة المدرسة ، وكان ابنها اول فرقته ،
لا يمكن ان تحتل المرحه ، وبطل تدور على البيوت ، وتقول
فى كل زيارة ولكل أحد « ابنى اول عرقه » ... امرأة أخرى
ان صار ابنها طبيبا ، أو حتى دخل كلية الطب، مجرد دخول،
تصر على أن يسميها الناس « أم الدكتور » ، وامرأة أخرى
ان سافر ابنها الى الخارج فى بعثة ، تحاول أن تخلق مناسبة
أو غير مناسبة لكي تعلن على الناس ان ابنها سافر فى بعثة...!
ماذا يحدث ادن لو ان ابن واحدة من هؤلاء كان هو الله ،
حاشا ... لا شك انها تجن ، ولا تحتل ... لهذا كان لابد
أن يختار الله فتاة متواضعة تحتل كل تلك الكرامة ...

هذا الأمر واضح فى تسبيحة العذراء اذ تقول « تعظم
نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى ... لأنه نظر الى

اتضاع أمته » (لو ١ : ٤٨) • نظر الى اتضاع أمته ، الى مذلتها وعوزها ويتمها وفقرها ، ولم يختبر فتاة أخرى جليلة القدر ، عظيمة في نظر الناس • بل على العكس « انزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين » •

نلاحظ هنا انها قالت « أمته » اي عبدة وخدمته • ونفس التعبير قلته للملاك « هوذا انا امة الرب » (لو ١ : ٣٨) • قالت « أمته » وهي « امة » ...

ان البشارة العجيبة لم ترفع قلب العذراء ، بل طلت كما هي في انسحاقها • لم ترتفع اذ اختبر دون كل سماء العالم من جميع الأجيال ، لهذا المجد وهذه الطوبى • وانما بقيت كما هي في اتضاعها ، كان شيئاً لم يحدث • ولما سمعت ان ليصابات حبل في شيخوختها ، أسرعت لوضع نفسها في خدمتها •

مقالة العذراء لليصابات

سمعت العذراء القديسة من الملاك أن ليصابات حبل في شيخوختها ، وأنها في الشهر السادس ، فأدركت انها لا شك محتاجة الى خدمة • ولم تستنكف من الذهاب اليها الوقوف الى جوارها لخدمتها •

لم تقل في نفسها « كيف اذهب لخدمة هذه العجوز » ، انا المثلثة نعمة ، انا المختارة من بين نساء العالم كله ،

أنا المباركة فى النساء ، أنا التى أحمل فى أحشائى الله
الكلمة ... ! ، بل أسرع ، وصعدت الجبال وهى حامل ،
وذهبت إليها فى اتضاع . وشعرت اليصابات باتضاع العذراء
فى هذه الزيارة الكريمة . فقالت لها : من أين لى هذا ، أن
تأتى أم ربى الى « (لو ١ : ٤٣) » .

هذه الزيارة تعطينا فكرة سامية عن مقابلات القديسين
وعن طابع الزيارات المقدسة : زيارة عجيبة يعمل فيها الروح
القدس ، كلها كلام روحى ، وتسبيح لله . لم يتكلم فيها
أحد كلاما خارجا أو كلاما زائدا ، بل كله للبنيان . وزيارة
فيها كل واحد يتضع للآخر : العذراء تتضع وتأتى لخدمة
اليصابات ، واليصابات تقول فى اتضاع للعذراء : من أين
لى هذا أو تأتى أم ربى الى « ... » .

وكانت زيارة تعطى فكرة عن مكانة العذراء العجيبة عند الله
... اذ أنه بمجرد كلمة السلام التى ألقاها مريم العذراء
الى اليصابات ، امتلأت اليصابات من الروح القدس ،
وتنبأت ، وارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها . انظروا ماذا
يقول الكتاب : فلما سمعت اليصابات سلام مريم ، ارتكض
الجنين فى بطنها ، وامتلأت اليصابات من الروح القدس ،
(لو ١ : ٤١) . واعترفت اليصابات بهذا فقالت للعذراء
: هوذا حين صار صوت سلامك فى اذنى ، ارتكض الجنين
بابتهاج فى بطنى . »

صدقونى اننى وقفت منذملا أمام هذه العبارات العجيبة ... !

ما هذه الموهبة العظيمة التي للعدراء ؟! مجرد أن يدخل سلامها
في أذن اليصابات ، تمتلئ اليصابات من الروح القدس . . . !
هذا عجيب حقا . . . تصوروا أن انسابا يدخل الى بيت ،
ويقول للموجودين « صباح الخير يا جماعة » ، فيمتلئ هؤلاء
من الروح القدس ، ويتنبأون ! . . . هكذا حدث من العدراء .
وأرانا الرب أنه من أول وهلة للحبل المقدس ، أعطى هذه
الكرامة العظيمة للمستودع الذي حل فيه . . . ويزيد هذه
الاعجوبة عمقا انها تمت بمجرد السلام : اعنى أن العدراء
لم تضع يدها على رأس اليصابات ، ولم تقدم عنها صلاة ،
ولا تشفعت فيها ، ولا باركتها بكلمة بركة . ولكن بمجرد أنها
سلمت عليها حلت كل تلك البركات . . .

هل أنت كذلك يا أخى : اذا زدت بيتا ، يمتلئ أهل هذا
البيت من الروح القدس وتحل عليهم المواهب . . .
ويتبارك البيت بوجودك ؟ هل يكون وجودك بركة لهذا البيت ،
مثلما كان وجود العدراء في بيت اليصابات ، ومثلما كان
ايليا في بيت الأرملة ، واليشع في عليية الشونمية . ليتك
تكون كذلك . . . أعود بك مرة أخرى لنتابع تأملاتنا في زيارة
مريم لاليصابات :

نلاحظ في هذه الزيارة ، أن روح الاعلان والكشف بدأ
يعمل في القديسة اليصابات . . . رفع الله عنها الحجاب
فبدأت ترى المخفيات والمحجبات . . . ! ما دلائل ذلك ؟ سنرى
الآن :

قالت الیصابات لمريم « من أين لی هذا ، أن تأتي أم ربی الی ، • كيف عرفت أن هذه هي « أم ربها » ؟ كيف عرفت أن الرب قد حل فيها ؟ أليس حقا أن القديسة الیصابات قد أدركت ما لم يستطع إدراكه أريوس ونسطور بعد مئات السنين على الرغم من مكانتهما العلمية والكهنوتية ؟! بل من أين لالیصابات أن تعرف بحبل العذراء حتى تقول « ومباركة هي ثمرة بطنك » ؟! ومن أين لها أن تعلم بأن العذراء « قد آمنت بما قيل لها من قبل الرب » ؟!

كيف اتبع لها أن تعرف ما قاله الملك للعذراء ،
والعذراء لم تكن قد أخبرتها بعد بشيء • • • ؟! حقا ان « سر الرب لحائفيه » كما يقول الكتاب (مز ٢٥ : ١٤) • انها لم تعرف فقط « ما قيل لها من قبل الرب » وايمانها به ، وانما هي أيضا حيت العذراء بنفس تحية الملك لها ، بنفس العبارة التي قالها لها الملك « مباركة أنت في النساء » (لو ١ : ٢٨ ، ٤٢) • • • هذا عجيب • • •

وألم عظمة الملوك ، لو بالخرى ألم عظمة ابنها ،
تصافرت الیصابات وتضائلت، ونست ما قيل عن عظمة ابنها...
لقد قيل عن ابنها انه « يكون عظيما أمام الرب » وانه « يرد كثيرين الى الرب الههم » وانه « يتقدم أمامه بروح ايليسا وقوته » وانه « يهيء للرب شعبا مستعدا » وكثيرون سيفرحون بولادته • ولكن كل هذا تضائل ألم ما قيل للعذراء من قبل الرب • • نست الیصابات كل عظمة ابنها

وهي واقفة أمام أم ربها • وكما أن يوحنا اختفى لكي يظهر
المسيح ، كذلك اختفت عظمتة وهو جنين ، أمام عظمة الجنين
الالهى • وعلى رأى الشاعر « فى طلعة الشمس من ذا يبصر
الشهبا » ؟ !

مكثت العذراء ثلاثة أشهر عند اليصابات ، بقيت معها
طوال شهور الحمل الأخيرة حتى وضعت ••• هذا يظهر لنا
صفة جميلة أخرى وهي روح الخدمة عند العذراء • كانت فتاة
خدومة ، تحب خدمة الآخرين وتتعب لأجلهم • كانت كابنها
الذى « لم يأت ليخدم ، بل ليعبد » وليبذل نفسه فدية عن
كثيرين » (مز ١٠ : ٤٥) •

ومحبتها لخدمة الناس تابعتها باستمرار وكانت سبب
المعجزة الأولى للمسيح فى عرس قانا الجليل • فلما رأت أن
الخمر قد فرغت ، وأصبح الأمر محرجا لأصحاب العرس إذ ليس
لديهم ما يقدمونه للمدعوين ، تحنن قلب العذراء عليهم ،
وتشفعت فيهم لدى ابنها الحبيب حتى يحل لهم الاشكال
ثم قابلت الخدام وقالت لهم « مهما قال لكم فافعلوه » (يو ٢ :
٣ - ٥) • ومن أجلها أجرى المسيح المعجزة وفرح الناس
فى عرسهم •

مهموكاثة العذراء

هذه العذراء المتواضعة الخدوم هى التى اختارها الرب
لانسحاق نفسها ، ورباها التربوية التى تمهدا لهذا
الانسحاق •

تربية العذراء وأثرها في سموها :

لم يختار الرب فتاة مدللة قد تربت في القصور وتعت
بمتع الدنيا ومادياتها • وإنما اختار فتاة يتيمة مسكينة ،
مات أبوها وهي في السادسة من عمرها ، وماتت أمها وهي
في سن السابعة • وعاشت العذراء في الهيكل ، إذ كانت
نذيرة للرب •

وكان لنورها للرب قصة : كانت أمها « حنه » عافرا •

وبكت أمام الرب ، وصلت ، ونذرت أن تكون ثمرة بطنها
للرب ، أن أعطاها الرب نسلا • وسمع الرب طلبتها وطلبة
زوجها « يوسف » ، الذي كان هو أيضا صائما ومعكفا
ومصلما من أجل عدا الموضوع عيه • وبشرهما الرب بميلاد
العذراء • وحملت حنه وولدت ابنتها العذيسة ، فوهبتها
لرب ، وتربت في الهيكل •

ان الكنيسة المقدسة وإن كانت تحتفل دائما بأعياد
اسم شهداء القديسين أو نياحتهم ، وليس بميلادهم ، إلا أنها
بالنسبة إلى العذراء بالذات ، تحتفل بميلادها ، في عيد
وليس في عيد واحد : تعيد بميلاد العذراء في أول بشنس ،
كما تعيد للبشارة بميلادها في ٧ مسرى . لقد كان ميلاد
العذراء هو بدء الأفراح ، لأنه ميلاد المستودع الذي يحل
فيه رب المجد ••• ولأنه علامة على أن الرب قد بدأ يرضى على
الأرض ، وأنه قد قرب زمان اصفادها • أنه مولد العذراء
القديسة ابنة الأصوام والصلوات ، وابنة المواعيد أيضا •

ولما أتمت العذراء مدة طفولتها ، أخذتها أمها بوسلتها
 لهيكل الرب ، فعاشت فيه ، وتربت وسط التسابيح والزمائر
 والصلوات ، ووسط التقدمة والقرايين والذبائح والبخور .
 تربت مع الفتيات المختارات وكان الكل معجبا بها . وأقامه
 هكذا حتى الثانية عشرة من عمرها ، حيث نقلت إلى بيت
 يوسف البار ، ليرعاها ويحفظها . . .

أقدیس الكنيسة للعذراء :

انها في نظر الكنيسة أعلى من الملائكة ورؤساء الملائكة .
 نذكرها في صلواتنا وألحاننا قبل الثلاثة العظماء المنهدين
 ميخائيل وجبرائيل وروفايل رؤساء الملائكة . بل اننا نقر
 لها في التسبحة . . ارتفعت يا مريم فوق الشاروبيم ، وعلوت
 يا مريم فوق السارافيم . . . هي في نظرنا السماء الثانية
 التي استحققت أن تكون عرشا لله الكلمة .

نذكرها في الأجبية وفي القداس وفي كل كتب الكنيسة :
 في السنكسار ، وفي الدفنار ، وفي القطمارس ، وفي
 الإبصلمودية ، وفي كتب المردات والألحان . . . في صلوات
 الأجبية ، نذكرها في القطعة الثالثة في كل ساعة من ساعات
 النهار متشفعين بها . ونذكرها في قانون الإيمان ، اذ نقول
 في مقدمته « نعظمك يا أم النور الحقيقي ونسجدك أيتها العذراء
 القديسة والدة الإله . . . »

نضع صورتها باستمرار على يمين الخارج من الهيكل ،

(مز ٤٥ : ٩) • ويقدم لها الكاهن البخور عند خروجه
الهيكل وهو يقول « السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ...
وعلى الجانب نضع صورة المسيح مع يوحنا المعمدان ، متذكر
قول المرتل « قامت الملكة عن يمينك أيها الملك ..

نذكرها في صلاة البركة ، أولا وآخرها • نذكرها
جميع القديسين • فبدأ البركة « بالصدوات والتضرع
والابتهالات التي ترفع عنا كل حين والدة الاله القديس
الطاهرة مريم » • وبعد أن نذكر أسماء الملائكة والرسل
والأنبياء والشهداء وجميع القديسين ، نختم بها الب
فقول « وبركة السيدة العذراء أولا وآخرها » ... وه
نذكرها في صلاة المجمع في القديسين • جميع القديسين

ونعيد لها - غير عيدها الشهري - سبعة أعياد رئيس
في السنة : عيد البشارة بميلاده • وعيد ميلاده ، و
دخولها الهيكل ، وعيد دخولها مع الرب الى أرض مصر ، و
نياحتها ، وعيد صعود جسدها الى السماء ، وعيد بناء
كنيسة على اسمها • أما عيدها الشهري فهو في اليوم الح
والعشرين من كل شهر قبطي • يضاف الى هذا أننا نصوم
صوما على اسمها هو ١٥ يوما يهتم الناس به اهتمام
كبيراً ...

وما أكثر الكنائس والأديرة التي بنيت على اسم العذ
غالبية الكنائس في مصر على أسماء العذراء ، أو مارجرجس
أو الملك ميخائيل • لا نستطيع أن نحصى بالتدقيق الكنا

التي تحمل اسمها ، أما من جهة الأديرة : فالى جوار دير
العذراء للراحيات بحارة زويلة ، توجد على اسمها ثلاثة أديرة
للرهبان : دير البراموس ، ودير السريان بوادى النطرون ،
ودير المحرق بالصعيد . . . ان العذراء قد نالت شهرة
كبيرة فى مصر ، وبخاصة لأنها زارت مصر مع ابنها الحبيب ،
ولها فى كل مكان ذكريات خاصة بزيارتها أو خاصة
بمعجزاتها .

على ان السبب الاول لشهرة العذراء لم يكن هو معجزاتها،
وانما قبل كل شيء فضائلها . . . وسنحاول ان نتأمل بعض
هذه الفضائل اذ لا يمكننا ان نلم بجميعها :

تكلما فى اول هذا الفصل عن اتضاع العذراء . ونود
الآن ان نتحدث عن صمتها وتأملها .

صمت العذراء وتأملها

انه صمت ممزوج بالاتضاع والتأمل .
لقد رأت هذه القديسة ما لم يره أحد . رأت الكثير من
المعجزات والرؤى . ومع ذلك لم تتكلم ، ولم تفتخر ، لا قليلا
ولا كثيرا . بل يلخص الكتاب موقفها الوقور العجيب ،
وتصرفها الروحى العميق ، فى عبارة واحدة هي :

« ولما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام ، متفكرة
به فى قلبها » (لو ٢ : ١٩) .

فرى العذراء ملاكا يبشرها ، وتسمع عن ملاك ظهر لزكريا ،
وعن ملاك ظهر للرعاة مع جمهور من الحند السماوى مسبحين •
ولعل يوسف قد أخبرها بأمر الملائكة الذين طهروا له فى
الأحلام • ولكنها لا تتحدث عن شىء من هذا ، بل « نحفظ
جميع هذا الكلام منكرة به فى قلبها » • لم تفتخر بشىء من
جميع الأعاجيب التى حدثت لها ، بل أعياها جميعها بغلاف من
الصمت ••• يخيّل الى أنها لم تتكلم الا عندما تحدثت
للانجيليين القديسين عندما كتبوا أناجيلهم •

أعاجيب كثيرة حدثت معها فى مصر ، ومع ذلك لم تتحدث
عنها مريم ، ولم يذكرها لنا الانجيليون ، بل كانت القديسة
مريم « تحفظ جميع هذا الكلام منكرة به فى قلبها » ••• لم
نعرف أعاجيب الرب فى مصر الا عن طريق التقليد ، عن
طريق التاريخ • حفظه لنا الذين رأوه ، والذين حدثت معهم
المعجزات • أما مريم فظلت صامته •••

**لا شك ان معجزات كثيرة أخرى قد أجراها الرب فى فترة
الثلاثين سنة من حياته التى سبقت خدمته • وكان يعيش هذه
الفترة فى بيت العذراء • ولا شك أن أعاجيب أخرى رأتها
العذراء فى حياة الرب ، فى كماله فى تصرفاته ، فى سيرته
المقدسة ، فى علاقته مع الناس • ولكنها صمتت ولم تذكر لنا
شيئا من كل ذلك وكانت تحفظ جميع هذه الأمور منكرة بها
فى قلبها • وبقيت هذه الثلاثين سنة من حياة المسيح لغزا •••**

كان النأمل بالنسبة اليها أعمق من الحديث والاعلان •

كان التأمل غذاء لروحها ، أما الحديث ففيه تشتيت لتأمل القلب . أو لعلها من عجب ما رآته ، كانت في حالة من الدهش في الروحيات لا تسمح بالكلام ، أو يقف الكلام معها عاجزا عن التعبير . أو لعل العذراء أسكتت فمها ، ليتكلم قلبها ، مع الله .

ما أعجب قلب العذراء ، كيف أمكنه ان يتسع لكل ما رآته وسمعته . . . ان قلبها كنز عجيب للروحيات .
ما أجمل قول داود « خبات كلامك في قلبي » (مز ١١٨) .

لماذا صمتت العذراء ؟ هل بدافع من التأمل ؟ أم بدافع من الاتضاع ؟ أم لانشغال قلبها بالصلاة الدائمة فما بقي لها وقت للكلام . ومن لذة حديثها مع الله ، لم تجد فرصة للحديث مع الناس . أم أنها صمتت زهدا فيما قد تسمعه من مديح الناس ، اذا فتحت فمها وتكلمت ، وكشفت ما في أعماقها من أسرار . . . في الواقع يا أخوتي لست أجد جوابا عن شيء من هذه الأسئلة . كل ما أستطيع أن أظنه هو ان أقول لأمننا القديسة :

ان في صمتك سرا لن يرى قدس أقداسه الا الصامتون

يذكرني صمت العذراء الى حد ما بصمت آباءنا السواح :
لا شك ان أولئك القديسين السواح قد رأوا في حياتهم الشيء الكثير من عمل الله معهم ، ومما وهبه لهم من تأملات ، وما كشفه لهم من اعلانات . ومع كل ذلك ظلت حياتهم مغلفة بالصمت . ولو تحدثوا عن خبرات يوم واحد ، أو روحيات

يوم واحد من حياتهم ، لامتلات مكنياتنا بالمجلدات ، لكنهم
رأوا حياتهم مع الله لونا من ألوان المتعة الروحية ، ولم يحبوا
أن يقطعوا تلك المتعة بالحديث ... هكذا العذراء .
ان العذراء الصاعدة المأملة ، هي درس عميق لنا .

انه درس يقدمه لنا هذه القديسة العظيمة التي نرسم في
النيكل ، وعاشت طفولتها وشبابها في حياة الصلاة . وعندما
اخبرها الرب لخدمته ، كانت ممثلة من الروح ، على الرغم
من صغر سنها ...

لبننا عليها ، نأمل كثيرا ، ونحدث قليلا . ليتنا نقضى
أوقات في السام والصلاة . بدلا من الكلام . ان القديسين
الذين أبقوا الصمت - ومنهم العذراء - صمتوا مع أن كلامهم
كلام منفعه . ونحن كثيرا ما نكلم ، ولا منفعه من كلامنا .
بل قد يضر وقد يضر . كما يضر الأخرى بنا - في وقت
كلام غير السام - نسمع نعامات مسيحة أيوب الصديق
حينما قال : أناك تسمعون صمما . فيكون ذلك لكم حكمة ،
(أي ١٣ - ٥) . أحمل أن يعلم من هذه الطفلة القدسية
الوفورة التي تصرف هكذا في عمق الروح ، وهي في حوالى
الرابعة عشرة من عمرها ...

**ان مريم العذراء قد عوضت سمعة حواء . أقامت توازنا
لسمعة المرأة في العالم . انها أرجعت للمرأة الكرامة التي
وعدتها . لولاها لكان جسد المرأة عموما يعيس في وصمة عار .
أما بسبب العذراء فقد ارفعنا قيمة المرأة . وكما أنه بسبب**

سقوط المرأة قد دخلت الخطية الى البشر جميعا ، كذلك بامرأة
أخرى هي العذراء القديسة أشرق نور المسيح على العالم .
وهكذا وجدنا في العهد الجديد كرامة واضحة للمرأة . . .

نساء كثيرات كن يخدمن السيد المسيح . وفي ذلك نجد
أن لوقا البشير بعد أن ذكر أسماء مريم المجدلية ، ويونا ،
وسوسنة ، قال « وآخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن »
(لو ٨ : ٣) . وقد ذكر الكتاب اسمي مريم ومرثا أختي
لعازر ، وقال في ذلك « وكان يسوع يحب مرثا واختها ولعازر »
(يو ١١ : ٥) . وقد مدح السيد المسيح المرأة الكنعانية ،
وقال لها « يا امرأة ، عظيم هو إيمانك » (متي ١٥ : ٢٨) .
ودافع عن المرأة التي ضبطت في الخطية ، وأظهر أنها لم

تكن أشد من الرجال الذين ضبطوها . ودافع عن المرأة التي
بللت قدميه بدموعها ، وشرح للغريسي الذي لامها في قلبه
كيف أنها أفضل منه . (لو ٧) . ودافع الرب أيضا عن المرأة
التي سكبت الطيب على رأسه . وقال لتلاميذه « لماذا تزعجون
المرأة فأنها قد عملت بي عملا حسنا . . . الحق أقول لكم
حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم ، يغير بها فعلته
هذه تذكارا لها » (متي ٢٦ : ١٣) .

وحول الصليب نجد النساء يتبعن الرب في الوقت الذي
حرب فيه تلاميذه . وفي هذا يقول القديس متي الانجيلي
« وكانت هناك نساء كثيرات ينتظرن من بعيد ، ومن كن قد
تبعن المسيح من الجليل يخدمته . وبينهن مريم المجدلية »

ومريم أم يعقوب ويوسى، وأم ابنى زبدي « (متى ٢٧ : ٥٥ -
٥٦) • **وتحت الصليب كانت غالبية الوقوف من النساء •**
وفى ذلك يقول يوحنا الحبيب التلميذ الوحيد الذى تبع المسيح
الى الصليب « وكن واقفات عند صليب يسوع : أمه ، وأخت
أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية « (يو ١٩ : ٢٥) •••

ويذكر لنا الكتاب كيف ذهبت النسوة مبكرات الى القبر •
وكيف ان المسيح فى قيامته ظهر اولاً لمريم المجدلية
(مر ١٦ : ٩) • وكيف أنه كلف هذه المرأة المجدلية مع
مريم الأخرى أن تذهبا لتبشيرا لتلاميذه (متى ٢٨ : ١٠) •
وكيف عاد فكلف المجدلية بهذه المهمة مرة أخرى (يو ٢٠ : ١٧)
وهكذا عرف تلاميذ المسيح بشرى القيامة اولاً من المرأة •

وما أكثر النساء اللاتى ساعدن الرسل فى خدمتهم
وكرازتهم • وما أكثر أسماء النساء اللاتى ذكرهن القديس
بولس فى رسائله • وفى عليه صهيون كان التلاميذ يصلون
ومعهم النساء (أع ١ : ١٤) • **واول كنيسة فى العالم كانت**
بيت امرأة هى مريم أم القديس مرقس حيث كان التلاميذ
يصلون (أع ١٢ : ١٢) •



قوله الكتاب



إن ميلاد السيد المسيح يثير
في القلب مشاعر وأفكار، أعمق
من أن يسطرها قلم .
وإذا نحاول أن نصوغها في
الفاظ، ليت الألفاظ تستطيع
أن تستوعب وأن تشرح .
ونخلل ذلك نأل عن :
فاعلية الميلاد في حياتنا،
ما مدى إستفادتنا روحياً
من إخلاء الرب لذاته ؟
ومن مجيئه في ملء الزمان ؟
ومن تسميته (عمانوئيل) ؟
ومن روحيات أمنا الطراء ؟
إن الصفحات التي أمامك،
تحاول أن تطرق كل هذا .

شموه الثالث